لقاءُ العشر الأواخر
بالمسجدِ الحرامِ
(٢٠٣ ـ ٢٠٤ ـ ٢٠٥)

السّرُّ المصونُ والعلمُ المخزونُ فيهِ لوائحُ من المحبّةِ وشؤونٌ

ويليه

ميزانُ الحقِّ والضلالِ في تفصيلِ أحوالِ النُّجباءِ والأبدالِ

ويليه

ميزانُ الشّيوخِ

تأليف

الإمامِ الزاهدِ الناسكِ والعالمِ العابدِ السالكِ
عمادِ الدّينِ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الواسطيِّ
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١هـ)
رحمه الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا؛ ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

---

(١) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سُورة النِّساء: الآية ١.

(٣) سُورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١.

أمَّا بعدُ:

(فمن أراد الله به خيرًا ألقاه على دليلٍ ناصحٍ؛ مُتَّبعٍ لآثار الرَّسول ﷺ على المنهج الواضح، يعرف أمراضهم وعللهم وترحهم ومضضهم، فيحضنهم كما تحضن الطَّير ولدها، ويُرضعهم من لبان المعرفة ما يُبرِّد به من قُلُوبهم لهبها، ويسدُّ بأقوات المعارف فاقاتهم، ويروي بمياه الوُصول ظمأ أكبادهم، فهُم جياعٌ بغير المعرفة لا يشبعون، عطاشٌ بغير مياه الوُصول لا يروون، أذلَّاء بغير مقاعد الصِّدق لا يعتزُّون، مفاليس بغير كُنوز التَّقريب لا يستغنون، هذا شأنهم وهُم الغُرباء، وطُوبى للغُرباء.

ومن أراد الله امتحانه منهم حجبه عن الدَّليل وطوَّل عليه الطَّريق، حكمة بالغة منه في حقِّه، يمُحِّص بذلك أدناسهم، ويمحو به بقاياهم وأدرانهم)[1].

وهذه رسائل العَالِم النَّاصحِ؛ ومسائل المُعلِّم الصَّالح: عماد الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيِّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين؛ رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت كُلَّ شيءٍ وكُتبت لعباده المُؤمنين، وأرفقه بالذين أنعم عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين.

ولمَّا يسَّر الله تعالى لي بمنِّهِ وإفضالِهِ؛ وسهَّل بكرمِهِ وجُوده ونوالِه: الوُقوفَ على هذه الرَّسائل اللَّطيفة؛ المُشتملة على هذه المسالك المُنيفة: وجدتُّها قد جمعت أُصول الاعتقاد وقواعد التَّعليم؛ وأركان التَّأديب ومبادئ السُّلوك وأُسس التَّقويم.

---

(١) مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة لابن شيخ الحزَّاميِّين ص٤٠ ــ ٤١.

فألفيتُها بعد نَضْرَةِ النَّظرِ إليها؛ وحسبتُها بعد الاطِّلاع عليها: رسائل ماتعة؛ ومفاتيح نافعة، فعمدت إلى العناية بها تحقيقًا؛ واجتهدت بالرِّعاية لها تعليقًا، ليعظم بها بمشيئة الله تعالى بعد الطَّبع: الأجر والمثوبة والفائدة والنَّفع.

وقد رأيتُ أن أُقدِّم بين يدي هذه الرَّسائل الفريدة: التَّعريف بالمُؤَلِّف والمُؤَلَّف بمُقتضب المقالة المُفيدة.

واللهَ سُبحانه وتعالى؛ المسؤول فضله العظيم؛ والمأمول نفعه العميم: أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، مُدنيًا لمُؤلِّفه ومُحقِّقه وقارئه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حُجَّة لهم لا عليهم؛ وأن ينفع به من انتهى إليهم.

ومن الله الاستمداد، وإليه الملجأ والاستناد، وعليه التَّوكل والاعتماد، فإنَّه لا يخيب من توكَّل عليه، ولا يضيع من لاذ به وفوَّض أمره إليه.

إنَّه سُبحانه خير مسؤولٍ؛ وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حرره بكلمه؛ وزبره بقلمه:

أفقر الورى إلى غنى ربِّه العليِّ:

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

غفر الله له ولوالديْه ولزوجه ولذريَّته

ولسائر المُسلمين

جامعة الكويت

كُليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

قسم العقيدة والدَّعوة

يوم الأربعاء ٨ ذو الحجَّة ١٤٣٣هـ

الموافق ٢٤ أُكتوبر (تشرين الأول) ٢٠١٢م

تَعْرِيفٌ بِالمُؤَلِّفِ[1]

اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ العالم الإمام؛ الزّاهد العابد الهُمام، العارف النَّاسك؛ القُدوة السَّالك: عماد الدِّين؛ أبو العبَّاس؛ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن مسعود بن عُمر الحزَّاميُّ؛ الواسطيُّ؛ البغداديُّ؛ ثُمَّ الدِّمشقيُّ، الذي عُرف بأنَّه: ابن شيخ الحزَّاميِّين.

---

(١) انظر التَّعريف به في المصادر الآتية ـ مُرتَّبةٌ وفق التَّسلسل الزَّمنيِّ لمُؤلِّفيها ـ: المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن للبرزاليِّ ٢/ ٢/ ١٩ ـ ٢٠، العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة لابن عبد الهادي ص٢٩٠، الإعلام بوفيَّات الأعلام للذَّهبيِّ ص٢٩٩، تذكرة الحُفَّاظ له ٤/ ١٤٩٥، ذيل العبر له ٤/ ٢٩، ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام له ص١٠٩، مُعجم الشُّيوخ له ١/ ٢٩ ـ ٣٠: ترجمة ٥، المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم له ص٢٢٤، أعيان العصر وأعوان النَّصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٣ ـ ١٥٤: ترجمة ٦٦، الوافي بالوفيَّات له ٦/ ٢٢١: ترجمة ٢٦٨٩، مرآة الجَنان وعبرة اليقظان لليافعيِّ ٤/ ٢٥٠، الذَّيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠، القاموس المُحيط للفيروزآبادي ص١٤١٣: مادَّة حزم، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين الدِّمشقيِّ ٣/ ١٦٥ ـ ١٦٧، الرَّدّ الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر له ص١٢٩ ـ ١٣١: ترجمة ٣٢، الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة لابن حجرٍ ١/ ٩١: ترجمة ٢٤٠، =

والحزَّاميُّون: نسبة إلى الحزَّامين ـ بفتح الحاء والزَّاي وتشديدها ـ[1]، محلَّةٌ في شرقيِّ واسطٍ[2]، وهي واسعةٌ كبيرةٌ.

= المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي ١/ ٢١٠ ـ ٢١١: ترجمة ١٠٧، الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي له ١/ ٣٥: ترجمة ١٠٦، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مُفلح ١/ ٧٣: ترجمة ٥، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعُليميِّ ٤/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥: ترجمة ١١٩٣، الدُّر المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد له ٢/ ٤٦١، القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة لابن طُولون ٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠، شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٦/ ٢٤ ـ ٢٥، تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيديِّ ٣١/ ٤٨٣: مادَّة حزم، هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين للبغداديِّ ١/ ١٠٣ ـ ١٠٤، رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب لابن ضُويَّان ص٢٩٣ ـ ٢٩٤، الأعلام للزِّركليِّ ١/ ٨٦ ـ ٨٧، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة ١/ ٨٩، تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة للبُرَديِّ ٢/ ٩٤٧ ـ ٩٤٩، عُلماء الحنابلة لبكر أبو زيد ص٢٢٦: ترجمة ١٧٨٨، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للأُستاذ الدُّكتور عبد الله الطُّريقيِّ ٣/ ٣١١ ـ ٣١٥.

(١) انظر في ضبطها: الأنساب للسَّمعانيِّ ٢/ ٢١٣، المُشتبه للذَّهبيِّ ص٢٢٤، القاموس المُحيط للفيروزآبادي ص١٤١٣: مادَّة حزم.

(٢) واسطٌ: اسمٌ يقع على عدَّة مواضع، وأعظمها وأشهرها: مدينة واسطٍ التي عمَّرها الحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيُّ سنة ثلاثٍ وثمانين، وهي المُشار إليها، وسُمِّيت بذلك: لتوسُّطها بين البصرة والكُوفة، كما في: مُعجم ما استعجم للبكريِّ ٤/ ١٣٦٣، مُعجم البُلدان للحمويِّ ٤/ ٣٤٧، الرَّوض المعطار في خبر الأقطار للحميريِّ ص٥٩٩.

كما يُطلق الحزَّامون: على الذين يحزمون الكاغد[1] [2]، أو يحزمون الأمتعة ويشدُّونها[3]، والله أعلم.

ولادته ونشأته:

وُلد ابن شيخ الحزَّاميِّين رحمه الله تعالى في حادي عشر ـ أو ثاني عشر ـ شهر ذي الحجَّة الحرام سنة سبعٍ وخمسين وستُّمائةٍ بشرقيِّ واسطٍ.

وكان والده الشَّيخُ أبو إسحاق شيخَ الطَّائفة الأحمديَّة[4]، وقد نشأ ابن شيخ الحزَّاميِّين بينهم.

---

(١) الكاغد: هُو القرطاس ـ فارسيٌّ مُعرَّبٌ ـ، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ ٩/ ١١٠: مادَّة كغد.

(٢) انظر: الأنساب للسَّمعانيِّ ٢/ ٢١٣، اللُّباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير ١/ ٣٦٢، تاج العروس للزَّبيديِّ ٣١/ ٤٨٥: مادَّة حزم.

(٣) انظر: مُعجم البُلدان للحمويِّ ٢/ ٢٥٢.

(٤) الطَّائفة الأحمديَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي العبَّاس أحمد بن عليِّ بن رفاعة الحُسينيِّ؛ المولود في قرية حسن ـ من أعمال واسط ـ بالعراق في أوَّل مُحرَّمٍ سنة خمسمائةٍ، والمُتوفَّى في قرية أمِّ عُبيدة ـ بين واسطٍ والبصرة ـ في يوم الخميس ثاني عشر جُمادى الأُولى سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائةٍ، وتُسمَّى باسم الرِّفاعيَّة؛ وهو الاسم الذي غلب عليها: نسبة إلى أحد أجداد الشَّيخ أحمد، كما تُسمَّى باسم البطائحيَّة: نسبة إلى مسقط رأس الشَّيخ أحمد ببطائح واسط بالعراق، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

وكان رحمه الله تعالى (يرتزق من النَّسخ؛ وخطُّه حسنٌ جدًّا)[١]، (ولا يكاد يقبل من أحدٍ شيئًا إلَّا في النَّادر)[٢]، وكان مع ذلك (لا يكتب إلَّا مقدار ما يدفع به الضَّرورة)[٣].

قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى: (وكتب المنسوب[٤] حتَّى أخمل[٥] الحدائق، وأتى في طرسه[٦] بكُلِّ سطرٍ على العقد فائق)[٧].

مُعتقده ومسلكه:

قد أُلهم رحمه الله تعالى (من صغره طلب الحقِّ ومحبَّته، والنُّفور عن البدع وأهلها)[٨]؛ فاجتمع بطوائف عدَّةٍ؛ (ولم يسكن قلبه إلى

---

(١) الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ ١/ ٩١.
(٢) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في الذَّيل ٢/ ٣٦٠.
(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل ٢/ ٣٦٠.
(٤) خطٌّ منسوبٌ: ذُو قاعدةٍ، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ ٤/ ٢٦٤: مادَّة نسب.
(٥) قال ابن السِّكِّيت: (قال أبو صاعدٍ: الخميلة: الشَّجر المُجتمع الذي لا ترى فيه الشَّيء إذا وقع في وسطه)، كما في تهذيب اللُّغة للأزهريِّ ٧/ ٤٢٩: مادَّة خمل.
(٦) قال اللَّيث: (الطِّرْس: الكتاب الممحو الذي يُستطاع أن تُعاد عليه الكتابة، وفعلك به: التَّطريس)، كما في تهذيب اللُّغة للأزهريِّ ١٢/ ٣٢٩: مادَّة طرس.
(٧) أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٣.
(٨) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠.

شيءٍ)[1] منها؛ فاجتمع بفُقهاء واسطٍ، وبغداد، ومكَّة، والقاهرة. ثُمَّ رحل إلى الإسكندريَّة؛ فاجتمع هُناك بالطَّائفة الشَّاذليَّة[2]، فوجد عندهم ما يطلبه من لوائح المعرفة والسُّلوك، فأخذ عنهم؛ واقتفى طريقتهم وهديهم.

وكان رحمه الله تعالى في هذه الحِقبة الزَّمنيَّة من عُمره: مُضطربًا ببعض الأُصول ومُتحيِّرًا في شيءٍ من مسائل الاعتقاد؛ حتَّى أراه الله تعالى الحقَّ ورزقه اتِّباعه وهداه إلى سبيل الرَّشاد، كما أشار رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله: (كُنت بُرهة من الدَّهر مُتحيِّرًا في ثلاث مسائل: مسألة الصِّفات؛ ومسألة الفوقيَّة؛ ومسألة الحرف والصَّوت في القُرآن المجيد، وكُنت مُتحيِّرًا في الأقوال المُختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصِّفات وتحريفها؟ أو إمرارها؟ أو الوُقوف فيها؟ أو إثباتها بلا تأويلٍ ولا تعطيلٍ؛ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ؟)[3].

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال: حتَّى لطف الله بي،

---

(١) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠.

(٢) الطَّائفة الشَّاذليَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي الحسن عليِّ بن عبد الله الهُذليِّ الشَّاذليِّ ـ نسبة إلى شاذلة في المغرب ـ؛ المُتوفَّى أوائل شهر ذي القعدة سنة ستٍّ وخمسين وستُّمائةٍ، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة: عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

(٣) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين ص١٦ ـ ١٧.

وكشف لهذا الضَّعيف عن وجه الحقِّ: كشفًا اطمأنَّ إليه خاطره، وسكن به سِرُّه، وتبرهن الحقُّ في نُوره)[1].

وكان تخلِّيه رحمه الله تعالى عن هذه المذاهب والأقوال بعد قُدومه دمشق؛ والتقائه بشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى وصُحبته له، حيث دلَّه على مُطالعة السِّيرة النَّبويَّة، فأقبل عليها؛ وعلى مُطالعة كُتب الحديث والسُّنَّة والآثار، حتَّى صار (داعية إلى السُّنَّة ومُتابعة الآثار)[2]؛ (مُحبًّا لأهل الحديث؛ مُعظِّمًا لهم)[3]، (ومذهبه مذهب السَّلف الصَّالح في الصِّفات؛ يُمرُّها كما جاءت)[4].

وكان حَسَن العهد بشيخ الإسلام ابن تيميَّة مُثنيًا عليه، ومُضيفًا إليه: كُلَّ صفةٍ حسنةٍ؛ وكُلَّ منقبةٍ مُستحسنةٍ، فمن ذلك قوله: (شيخنا السَّيِّد الإمام؛ الأُمَّة الهُمام، مُحيي السُّنَّة وقاطع البدعة، ناصر الحديث، ومُفتي الفرق، الفائق عن الحقائق؛ ومُوصلها بالأُصول الشَّرعيَّة للطَّالب الذَّائق، الجامع بين الظَّاهر والباطن؛ فهُو يقضي بالحقِّ ظاهرًا وقلبه في العُلى قاطنٌ، أُنموذج الخُلفاء الرَّاشدين؛ والأئمَّة المهديِّين، الذين غابت عن القُلوب سِيَرُهُم؛ ونَسِيَت الأُمَّة حذوهم وسُبُلَهُم، فذكَّرهم بها الشَّيخ، فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولموات حذوهم مُحييًا؛ ولأعنَّة قواعدهم مالكًا، الشَّيخ الإمام: تقيُّ الدِّين؛ أبو العبَّاس؛ أحمد بن عبد الحليم بن

---

(١) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين ص٣٢.
(٢) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ ١/ ٢٩.
(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل ٢/ ٣٦٠.
(٤) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في الذَّيل ٢/ ٣٦٠.

عبد السَّلام بن تيميَّة، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلى درجته)[١].

وقد انتفع بهدي ابن شيخ الحزَّاميِّين و(تسلَّك به جماعةٌ، وأَلِف الضَّراعة من الرَّضاعة)[٢]، ثُمَّ شرع في الرَّدِّ على أرباب المذاهب العقليَّة الذَّميمة، واجتهد في التَّحذير من أصحاب الأقوال السَّقيمة، فبيَّن عوارهم؛ وكشف أستارهم.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (جالسته مرارًا وانتفعت به، وكان مُنقبضًا عن النَّاس؛ حافظًا لوقته[٣]، تسلَّك به جماعةٌ، وكان ذا ورعٍ وإخلاصٍ، ومُنابذةٍ للاتِّحاديَّة وذوي العُقول)[٤].

مذهبه الفقهيُّ:

أقبل رحمه الله تعالى على التَّفقُّه في الدِّين؛ وبرز فيه، وصارت (له مُشاركةٌ في العُلوم)[٥]، وزاحم في شتَّى (الفضائل، وصحب الكبار)[٦].

---

(١) التَّذكرة والاعتبار لابن شيخ الحزَّاميِّين ص١٩ ـ ٢٠.
(٢) أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٤.
(٣) سقطت كلمة (لوقته) من الوافي بالوفيَّات، واستدركتها من الدُّرر الكامنة.
(٤) حكاه الصَّفديُّ في الوافي بالوفيَّات ٦/ ٢٢١.
(٥) ذيل العبر للذَّهبيِّ ٤/ ٢٩.
(٦) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ ١/ ٢٩.

وقد (تفقَّه على مذهب الشَّافعيِّ)[1] رحمه الله تعالى، (ونظر في الرَّوضة والرَّافعيِّ[2])[3]، كما أشار إلى ذلك بقوله: (لأنِّي على مذهب الشَّافعيِّ رحمه الله تعالى، عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه)[4].

ثُمَّ تحوَّل و(انتقل إلى مذهب الإمام أحمد)[5] رحمه الله تعالى[6]، فقرأ على شيخ المذهب مجد الدِّين إسماعيل بن مُحمَّد الحرَّانيِّ رحمه الله تعالى كتاب (الكافي) للمُوفَّق ابن قدامة رحمه الله تعالى، (واختصره في مُجلَّدٍ)[7].

ثناء العُلماء عليه:

كُسي ابن شيخ الحزَّاميِّين بثوب ثناء عُلماء عصره وفُقهاء مصره عليه، فجادت ألسنة صدقهم بالثَّناء والدُّعاء وجاءت مدائحهم تسعى إليه، فمن ذلك:

---

(١) الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ ١/ ٩١.
(٢) أي: تفقَّه في مذهب الشَّافعيِّ على كتاب (الفتح العزيز في شرح الوجيز) للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن مُحمَّد الرَّافعيِّ القزوينيِّ (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ)، وعلى مُختصره (روضة الطَّالبين وعُمدة المُفتين) للإمام أبي زكريَّا يحيى بن شرف النَّوويِّ الدِّمشقيِّ (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ).
(٣) أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٤.
(٤) النَّصيحة لابن شيخ الحزَّاميِّين ص١٨.
(٥) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٥٩.
(٦) انظر: العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل لبكر أبو زيد ص٤٥، المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل له ١/ ٥٦٩.
(٧) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٥٩.

١ ـ كان شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) يُعظِّمه ويُجلِّه، ويقول: (هُو جُنيد[1] وقته. وكتب إليه كتابًا من مصر؛ أوَّله: إلى شيخنا الإمام العارف القُدوة السَّالك)[2].

٢ ـ قال الحافظ البرزاليُّ رحمه الله تعالى (٦٦٥ ـ ٧٣٩هـ): (رجلٌ صالحٌ عارفٌ، صاحب نُسكٍ وعبادةٍ؛ وانقطاعٍ وعُزوفٍ عن الدُّنيا، وله كلامٌ متينٌ في التَّصوُّف الصَّحيح، وهُو داعيةٌ إلى طريق الله تعالى)[3].

٣ ـ قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى (٧٠٥ ـ ٧٤٤هـ): (كان رجلًا صالحًا ورعًا، كبير الشَّأن، مُنقطعًا إلى الله، مُتوفِّرًا على العبادة والسُّلوك)[4].

---

(١) هُو أبو القاسم الجُنيد بن مُحمَّد الخرَّاز القواريريُّ النَّهاونديُّ ثُمَّ البغداديُّ، المُتوفَّى سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين.
قال ابن قيِّم الجوزيَّة [في مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ٣/ ٣٢٨]: (قال سيِّد الطَّائفة وشيخهم الجُنيد بن مُحمَّد رحمه الله: الطُّرق كُلُّها مسدودةٌ على الخلق؛ إلَّا على من اقتفى آثار الرَّسول ﷺ. وقال: من لم يحفظ القُرآن ويكتب الحديث: لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ علمنا مُقيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة. وقال: مذهبنا هذا مُقيَّدٌ بأُصول الكتاب والسُّنَّة).
(٢) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠.
(٣) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠.
(٤) العُقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي ص٢٩٠.

٤ ـ قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): (شيخنا القُدوة العارف)[١]. ويقول: (كان من سادة السَّالكين)[٢].

٥ ـ قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ): (لقي المشايخ وتعبَّد، وترك الرِّئاسة وتزَّهد، وقطع العوالق وتجرَّد)[٣].

٦ ـ قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ): (كان له مُشاركةٌ جيِّدةٌ في العُلوم، وعبارةٌ حسنةٌ قويَّةٌ، وفهمٌ جيِّدٌ، وخطٌّ حسنٌ في غاية الحُسن. وكان معمور الأوقات في الأوراد والعبادات والتَّصنيف والمُطالعة والذِّكر والفكر، مصروف العناية إلى المُراقبة والمحبَّة والأُنس بالله وقطع الشَّواغل والعوائق عنه، حثيث السَّير إلى وادي الفناء بالله والبقاء به، كثير اللَّهج بالأذواق والتَّجلِّيات والأنوار القلبيَّة، منزويًا عن النَّاس لا يجتمع إلَّا بمن يُحبُّه ويحصل له باجتماعه به منفعةٌ دينيَّةٌ)[٤].

٧ ـ قال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ): (كان زاهدًا عابدًا، داعية إلى الله)[٥].

---

(١) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ ١/ ٢٩.
(٢) ذيل العبر للذَّهبيِّ ٤/ ٢٩.
(٣) أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٣.
(٤) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠.
(٥) الرَّدُّ الوافر لابن ناصر الدِّين ص١٣٠.

مُولَّفاته:

كان رحمه الله تعالى صاحب (عبارةٍ عذبةٍ)[1]؛ سَبَك بُحسْن أدبها ما (يُتحلَّى بقلائده، وتتجلَّى محاسنه في فرائده)[2].

ولمَّا كان (قلمه أبسط من عبارته)[3]: اعتنى بالتَّصنيف، حيث (صنَّف في السُّلوك والمحبَّة)[4] مُصنَّفاتٍ و(تواليف نافعة)[5].

وغالب هذه المُصنَّفات في الحثِّ على (اقتفاء السُّنَّة؛ وطريق التَّصوُّف على السُّنَّة؛ والرَّدِّ على طوائف من المُبتدعة كالاتِّحاديَّة وغيرهم)[6].

وكلامه (في التَّصوُّف عجيبٌ)[7].

قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى: (ألَّف تآليف كثيرة في الطَّريقة النَّبويَّة؛ والسُّلوك الأثريِّ؛ والفقر المُحمَّديِّ، وهي من أنفع كُتب الصُّوفيَّة للمُريدين، انتفع بها خلقٌ من مُتصوِّفة أهل الحديث ومُتعبِّديها)[8].

---

(١) ذيل العبر للذَّهبيِّ ٤/ ٢٩.
(٢) أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٣.
(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في الذَّيل ٢/ ٣٦٠.
(٤) الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ ٦/ ٢٢١.
(٥) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ ١/ ٢٩.
(٦) الرَّدُّ الوافر لابن ناصر الدِّين ص١٢٩.
(٧) توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين ٣/ ١٦٦.
(٨) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٥٩.

ومن هذه المُؤلَّفات:

١ ـ **البُلغة**. اختصر فيه كتاب «الكافي» لابن قُدامة المقدسيِّ رحمه الله تعالى. وقد ذكره: ابن رجبٍ؛ وابن ناصر الدِّين؛ والعُليميُّ؛ وابن طُولون؛ وحاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وابن العماد؛ وابن ضُويَّان؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ وأبو زيد؛ والطُّريقيُّ[1].

٢ ـ **البُلغة والإقناع في حلِّ شُبهة مسألة السَّماع**. (ألَّفه بدمشق سنة ثلاثٍ وسبعمائة)[2]. وقد ذكره: البغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ وأبو زيد؛ والطُّريقيُّ[3].

٣ ـ **التَّذكرة والاعتبار، والانتصار للأبرار**. رسالةٌ كتبها وبعثها إلى أصحاب شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى، (وأوصاهم فيها بمُلازمة الشَّيخ؛ والحثِّ على اتِّباع طريقته، وأثنى فيها على الشَّيخ ثناءً

---

(١) انظر: الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٥٩، الرَّد الوافر لابن ناصر الدِّين ص١٢٩، المنهج الأحمد للعُليميِّ ٤/ ٣٨٤، الدُّر المُنضَّد له ١/ ٤٦١، القلائد الجوهريَّة لابن طُولون ٢/ ٤٧٩، شذرات الذَّهب لابن العماد ٦/ ٢٤، كشف الظُّنون لحاجي خليفة ١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١، هديَّة العارفين للبغداديِّ ١/ ١٠٤، رفع النِّقاب لابن ضُويَّان ص٢٩٤، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة ١/ ٨٩، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ ٢/ ٩٤٩، المدخل المُفصَّل لبكر أبو زيد ٢/ ٧٣٩؛ ٩٨٦، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٢.

(٢) كشف الظُّنون لحاجي خليفة ١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١.

(٣) انظر: هديَّة العارفين للبغداديِّ ١/ ١٠٤، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة ١/ ٨٩، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ ٢/ ٩٤٩، المدخل المُفصَّل لبكر أبو زيد ٢/ ٨٨٥؛ ٩٨٦؛ ١٠٥٢، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٣.

عظيمًا)[1]. وقد ذكره: ابن ناصر الدِّين؛ والطُّريقيُّ[2]. وهُو مطبوعٌ[3].

٤ ـ **السُّلوك والسَّير إلى الله تعالى**. وقد ذكره: الطُّريقيُّ[4]. وهُو مخطوطٌ[5].

٥ ـ **شرح منازل السَّائرين**. شرح فيه (أكثر منازل السَّائرين)[6] لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن مُحمَّد الأنصاريِّ الهرويِّ رحمه الله تعالى؛ (ولم يُتمَّه)[7]. وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ وابن قيِّم الجوزيَّة[8]؛ والصَّفديُّ؛ وابن رجبٍ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن حجرٍ؛

---

(١) العُقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي ص٢٩٠.

(٢) انظر: الرَّد الوافر لابن ناصر الدِّين ص١٣٠ ـ ١٣١، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٥.

(٣) اعتنت بطباعته دار العاصمة؛ بتحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيُّ.

(٤) انظر: مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٤.

(٥) تُوجد منه نُسخةٌ خطيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (٤٧٠٩)، وتقع في (١٤٧) ورقة، وهي مخرومة الأوَّل والآخر، كما في: فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف) ٢/ ٦٠ ـ ٦١.

(٦) الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ ٦/ ٢٢١.

(٧) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠.

(٨) انفرد تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله تعالى عمَّن سواه من المُترجمين بخصِّيصةٍ، حيث ضمَّن مواطن من هذا الشَّرح [في شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل: ١/ ٨٩ ـ ٩١]، فقال: (والذي يليق به ـ أي: يليق بكلام صاحب المنازل ـ: ما ذكره شيخنا أبو العبَّاس أحمد بن =

وابن تغري بردي؛ والعُليميُّ؛ وحاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وابن ضُويَّان؛ والزِّركِليُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[1].

٦ ـ **مُختصر دلائل النُّبوَّة**. وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن حجرٍ؛ وابن تغري بردي؛ والزِّركِليُّ؛ والطُّريقيُّ[2].

٧ ـ **مُختصر سيرة ابن إسحاق**. حيث (أقبل على سيرة ابن إسحاق ـ تهذيب ابن هشامٍ ـ؛ فلخَّصها واختصرها)[3]. وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن تغري بردي؛ وابن مُفلحٍ؛ والعُليميُّ؛ وابن طُولون؛ وابن العماد؛ وابن ضُويَّان؛ وسزكين؛

= إبراهيم الواسطيُّ رحمه الله في شرحه، فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام، فقال...) ثُمَّ ساق قوله في ثلاث صفحاتٍ.

(١) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ ص١٠٩، شفاء العليل لابن قيِّم الجوزيَّة ١/ ٨٩ ـ ٩١، الوافي بالوفيَّات للصَّفديِّ ٦/ ٢٢١، الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين ٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦، الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ ١/ ٩١، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي ١/ ٢١١، المنهج الأحمد للعُليميِّ ٤/ ٣٨٤، الدُّر المُنضَّد له ١/ ٤٦١، كشف الظُّنون لحاجي خليفة ٢/ ١٨٢٨، هديَّة العارفين للبغداديِّ ١/ ١٠٤، رفع النِّقاب لابن ضُويَّان ص٢٩٤، الأعلام للزِّرِكليِّ ١/ ٨٧، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة ١/ ٨٩، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ ٢/ ٩٤٩، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٥.

(٢) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ ص١٠٩، أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٣، الوافي بالوفيَّات له ٦/ ٢٢١، الدُّرر الكامنة لابن حجرٍ ١/ ٩١، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي ١/ ٢١١، الأعلام للزِّرِكليِّ ١/ ٨٧، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٥.

(٣) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٥٩.

والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[1].

٨ ـ مدخل أهل الفقه واللِّسان. إلى ميدان المحبَّة والعرفان.
وقد ذكره: حاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[2].
وهُو مطبوعٌ[3].

٩ ـ مفتاح الطَّريق إلى سُلوك التَّحقيق. وهُو مطبوعٌ[4].

١٠ ـ مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة. وهُو مطبوعٌ[5].

---

(١) انظر: ذيل تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ ص١٠٩، أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٣ ـ ١٥٤، الوافي بالوفيَّات له ٦/ ٢٢١، توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين ٣/ ١٦٥، الرَّد الوافر له ص١٢٩، المنهل الصَّافي لابن تغري بردي ١/ ٢١١، المقصد الأرشد لابن مُفلح ١/ ٧٣، المنهج الأحمد للعُليميِّ ٤/ ٣٨٤، الدُّر المُنضَّد له ١/ ٤٦١، القلائد الجوهريَّة لابن طُولون ٢/ ٤٧٩، شذرات الذَّهب لابن العماد ٦/ ٢٤، رفع النِّقاب لابن ضُويَّان ص٢٩٣، تاريخ التُّراث العربيِّ لسزكين ١/ ١/ ١١٠، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ ٢/ ٩٤٩، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٥.

(٢) انظر: كشف الظُّنون لحاجي خليفة ٢/ ١٦٤٣، هديَّة العارفين للبغداديِّ ١/ ١٠٤، إيضاح المكنون له ٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة ١/ ٨٩، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ ٢/ ٩٤٩، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٤.

(٣) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٥) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

١١ ـ **مفتاح طريق الأولياء وأهل الزُّهد من العُلماء**. وقد ذكره: الزِّركِليُّ[(١)]. وهُو مطبوعٌ[(٢)].

١٢ ـ **مفتاح طريق المُحبِّين، وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين**. وقد ذكره: البغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[(٣)]. وهُو مطبوعٌ[(٤)].

١٣ ـ **نصيحةٌ في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا**. وهُو مطبوعٌ[(٥)].

١٤ ـ **نصيحةٌ لبعض إخوانه**. وقد ذكره: الطُّريقيُّ[(٦)]. وهُو مخطوطٌ[(٧)].

---

(١) انظر: الأعلام للزِّركِليِّ ١/ ٨٧.
(٢) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيق: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميِّ.
(٣) انظر: هديَّة العارفين للبغداديِّ ١/ ١٠٤، إيضاح المكنون له ٢/ ٥٢٥، مُعجم المُؤلِّفين لكحَّالة ١/ ٨٩، تسهيل السَّابلة للبُرَديِّ ٢/ ٩٤٩، مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٥.
(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.
(٥) اعتنى بطباعته المكتب الإسلاميُّ؛ بتحقيق: زُهير الشَّاويش.
(٦) انظر: مُعجم مُصنَّفات الحنابلة للطُّريقيِّ ٣/ ٣١٥.
(٧) تُوجد منه نُسخةٌ خطيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (١٥٣٢)، وتقع في (١٢٧) ورقة، كما في: فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف) ٣/ ٥٦ ـ ٥٧.

نظمه:

كان رحمه الله تعالى ـ إلى جانب ما جمع الله تعالى له من الذِّكر الرَّفيع ـ قد اشتهر عنه بأنَّه صاحب (نظمٍ حسنٍ)[1]، وشعرٍ رائقٍ وقرضٍ بديعٍ.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (أنشدنا لنفسه رحمه الله تعالى:

مَا زَالَ يَعْشَقُهَا طَوْرًا ويُلْهِيهَا ... حَتَّى أَنَاخَ بِرَبْعِ الحُبِّ حَادِيهَا
يَشْكُو إِلَيْهِ كَلالَ السَّيْرِ مِنْ نَصَبٍ ... وَعْدَ الوِصَالِ يُمَنِّيهَا فَيُحْيِيهَا
هَبَّ النَّسِيمُ فَأَهْدَى طِيبَ نَشْرِهِمُ ... فَهَيَّجَ الوَجْدَ مِنْ أَقْصَى دَوَاعِيهَا
إِنْ رُمْتَ سَيْرًا فَصَفِّ القَلْبَ مِنْ دَنَسٍ ... مَعَ الجَوَارِحِ كَيْ تَنْفِي مَسَاوِيهَا
وَجَانِبِ النَّهْيَ حَسْبَ الجَهْدِ مُمْتَثِلًا ... نُجْحَ الأَوَامِرِ كَيْ يَنْفَكَّ عَانِيهَا
واقْصِدْ إِلَى السُّنَّةِ الغَرَّاءِ تَفْهَمُهَا ... فَهْمَ الخُصُوصِ فَتَعْلُو فِي مَبَانِيهَا
وَدَاوِمِ الذِّكْرَ بَعْدَ العَقْدِ مِنْ سُنَنٍ ... عَقْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ لِلأَمْرَاضِ يَشْفِيهَا
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ ... وَلا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا)[2]

وقال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى: (ومن إنشادات الحزَّاميِّ هذا في مراتب المحبَّة:

مَنْ كَانَ فِي ظُلَمِ الدَّيَاجِي سَارِيًا ... رَصَدَ النُّجُومَ وَأَوْقَدَ المِصْبَاحَا
حَتَّى إذَا مَا البَدْرُ أَرْشَدَ ضَوْؤُهُ ... تَرَكَ النُّجُومَ وَرَاقَبَ الإصْبَاحَا

---

(١) الذَّيل لابن رجب ٢/ ٣٦٠.
(٢) مُعجم الشُّيوخ للذَّهبيِّ ١/ ٢٩.

حَـتَّـى إذَا انْـجَـابَ الـظَّـلامُ بِـأَسْـرِهِ   وَرَأَى الـصَّـبَـاحَ بِـأُفْـقِـهِ قَـدْ لاحَـا
تَـرَكَ الـمَـسَـارِجَ وَالـكَـوَاكِـبَ كُـلَّـهَـا   وَالبَدْرَ وَارْتَقَبَ السَّنَا الوَضَّاحَا)[1]

وفاته:

كان رحمه الله تعالى قد أدركته المنيَّة عن (أربعٍ وخمسين سنة)[2]، (وعينه من الانقطاع عن الدُّنيا وَسِنَة، ولم يزل على حاله إلى أن التقمته الأرض، وأودعته في بطنها إلى يوم العرض)[3].

وكانت وفاته بعد عصر السَّبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة بالمارستان[4] الصَّغير بدمشق، عن ثلاثةٍ وخمسين عامًا؛ وأربعة أشهرٍ؛ وأربعة أو خمسة أيَّامٍ[5].

وصُلِّي عليه بالجامع الأُمويِّ (ضُحى يوم الأحد، ودُفن بسفح قاسيون؛ قبالة زاوية السُّيوفيِّ، وتقدَّم في الصَّلاة عليه: أبو الوليد المالكيُّ)[6] رحمه الله تعالى.

---

(١) توضيح المُشتبه لابن ناصر الدِّين ٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧، وقد ذكرها ابن قيِّم الجوزيَّة في [كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: ص٧٨] دون نسبتها لقائلها، وفيه ذكر (اللَّيالِي)؛ بدل: (الدَّياجِي).

(٢) مرآة الجَنان وعبرة اليقظان لليافعيِّ ٤/ ٢٥٠.

(٣) أعيان العصر للصَّفديِّ ١/ ١٥٤.

(٤) دار المرضى ـ وهُو مُعرَّبٌ ـ، وأصله: بيمارستان، وبيمار: المريض، وأستان: المأوى، كما في: تاج العروس للزَّبيديِّ ١٦/ ٥٠٠: مادَّة مرس.

(٥) هذا عُمره تحديدًا، وما ذُكر أعلاه تغليبًا، وقد وهم الصَّفديُّ بقوله: (عاش بضعًا وسبعين سنة)، كما في: أعيان العصر ١/ ١٥٤، الوافي بالوفيَّات ٦/ ٢٢١.

(٦) المُقتفى للبرزاليِّ ٢/ ٢/ ١٩.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (ولا أعلم خلَّف بدمشق في طريقته مثله)[1].

رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت العالمين، وأعلى سُبحانه درجته ورفع منزلته في المهديِّين، وأخلفه بُحسن كرمه في عقبه في الغابرين.

❑ ❑ ❑

(١) الذَّيل لابن رجبٍ ٢/ ٣٦٠.

تَعْرِيفٌ بِالمُؤَلَّفِ

رسائل المُؤلَّف:

اشتمل المُؤلَّف المليح؛ على ثلاثة مفاتيح:

أوَّلها: **السِّرُّ المَصُونُ وَالعِلْمُ المَخْزُونُ فِيهِ لَوَائِحُ مِنَ المَحَبَّةِ وَشُؤُونٌ.**

وثانيها: **مِيْزَانُ الحَقِّ وَالضَّلالِ فِي تَفْصِيْلِ أَحْوَالِ النُّجَبَاءِ وَالأَبْدَالِ؛ وَشَرْحِ كِبْرِ الجَهَلَةِ مِنَ العُمَّالِ؛ الذِينَ عَدِمُوا عِلْمَ التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَالِ.**

وثالثها: **مِيْزَانُ الشُّيُوخِ.**

نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف:

هذه الرَّسائل الثَّلاث قد ثبتت نسبتها لمُؤلِّفها رحمه الله تعالى، وصحَّت من دلالة العبارة العذبة والأُسلوب الحسن، إذ قد كُسيت كلمات الرَّسائل بعبارةٍ وأُسلوبٍ يظهر فيها التَّشابه الكبير والتَّقارب الواضح بينها وبين غيرها من رسائل المُؤلِّف المطبوعة، وهذا الوجه من الأوجه المُعتبرة في إثبات نسبة رسالةٍ مَّا لمُؤلِّفها، إذ أنَّ عبارات المُؤلِّفين في رسائلهم؛ وأساليبهم في كُتبهم: تتشابه إلى حدٍّ كبيرٍ، كما أنَّها تُلقي في الرُّوع غلبة الظَّنِّ؛ وعليه فإنَّه يُمكن للقارئ أن يُطابق بين العبارتيْن، ويُقارن بين الأُسلوبيْن؛ ليطمئنَّ إلى صحَّة نسبة هذه الرَّسائل إلى مُؤلِّفها.

موضوع المُؤلَّف:

*** الرِّسالة الأُولى: (السِّرُّ المَصُونُ وَالعِلْمُ المَخْزُونُ فِيهِ لَوَائِحُ مِنَ المَحَبَّةِ وَشُؤْونٌ).**

وقد ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى فيها: أنَّ بعض من يُحِبُّ حقَّه من الإخوان في الله تعالى: أشار بتعليق كلماتٍ مُوجزاتٍ في تفاصيل شأن المحبَّة ومراتبها.

وقد جعل رسالته في فاتحةٍ؛ وثلاثة فُصولٍ؛ وخاتمةٍ.

ومُجمل هذه الفُصول فيما يلي:

الفصل الأوَّل: في المُقدِّمات التي يتعيَّن تقديمها على هذا الشَّأن لأنَّها علاماتٌ للاستعداد له بواضح البُرهان.

الفصل الثَّاني: في محبَّة الرَّسول ﷺ، وهي نوعان:

النَّوع الأوَّل: ما هُو فرضٌ على الأُمَّة.

النَّوع الثَّاني: ما هُو بمثابة السُّنَّة التي بها تكميل الفريضة.

الفصل الثَّالث: في البيان عن محبَّة الله تعالى، وهي ثلاثة أنواعٍ:

النَّوع الأوَّل: المحبَّة الواجبة التي لا يتمُّ الدِّين إلَّا بها، وهي قسمان:

القسم الأوَّل: هُو الاستسلام لما أمر الله تعالى به.

القسم الثَّاني: محبَّة الله تعالى لنعمه وآلائه الظَّاهرة والباطنة.

النَّوع الثَّاني: الحُبُّ المُؤكَّد الذي به يظهر سُلطان الإيمان.

النَّوع الثَّالث: المحبَّة الخاصَّة لخُصوصٍ من أهل القُرْب.

* **الرِّسالة الثَّانية: (مِيْزَانُ الحَقِّ وَالضَّلالِ فِي تَفْصِيْلِ أَحْوَالِ النُّجَباءِ وَالأَبْدَالِ؛ وَشَرْحِ كِبْرِ الجَهَلَةِ مِنَ العُمَّالِ؛ الذِينَ عَدِمُوا عِلْمَ التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَالِ).**

وقد ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى فيها: أنَّ العُبوديَّة من أعلى مقامات الصَّادقين، والتَّواضع لعظمة الله من أسنى ملابس المُقرَّبين، فمن ظهرت آثارهما عليه دلَّ ذلك على وُجدانه وعرفانه، ومن لم يتقمَّص بهما فقد أقرَّ بما يظهر عليه من الطَّبيعة ببعُده وهوانه.

وقد جعل رسالته في فاتحةٍ؛ وخمسة فُصولٍ؛ وخاتمةٍ.

ومُجمل هذه الفُصول فيما يلي:

الفصل الأوَّل: أنَّ كُلَّ اسمٍ وصفةٍ يرجع إلى معنى خاصٍّ قام بالرُّبوبيَّة.

الفصل الثَّاني: أنَّ كُلَّ اسمٍ وصفةٍ تقتضي عُبوديَّة خاصَّة.

الفصل الثَّالث: أنَّ المعرفة الصَّحيحة تُوجب عُبوديَّة وخُضوعًا من كُلِّ عارفٍ صحَّت معرفته.

الفصل الرَّابع: أنَّ أهل المعرفة الصَّحيحة قسمان.

الفصل الخامس: الآفات التي تدخل على العباد الذين لا بصيرة لهُم في دينهم؛ ولا معرفة لهم بأحوالهم؛ ولا ميزان لهم يزنون بها حركاتهم وسكناتهم.

* **الرِّسالة الثَّالثة: (مِيْزَانُ الشُّيُوخِ).**

وقد ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى فيها: أنَّ هذه النَّصيحة قد كتبها إلى إخوانه المُؤمنين في الآفاق، وذلك لما كان في النَّصيحة لله والتَّواصي بالحقِّ والتَّواصي بالصَّبر من المندوب الذي لا يسع المُؤمن تركه ولا الإعراض عنه.

وقد جعل رسالته في فاتحةٍ؛ وأربعة عشر فصلًا؛ وخاتمةٍ.

ومُجمل هذه الفُصول فيما يلي:

الفصل الأوَّل: اقتداء العامَّة برُؤسائهم وأشرافهم ومشايخهم.

الفصل الثَّاني: أصناف القادة.

الفصل الثَّالث: اهتمام العُلماء بحُبِّ الدُّنيا.

الفصل الرَّابع: إعراض المشايخ عن مجموع أمر الله تعالى.

الفصل الخامس: سبب انحراف الأُمَّة وتشعُّبها.

الفصل السَّادس: الميزان الذي يُوزن به المشايخ.

الفصل السَّابع: في بيان استقامة طريق شيخ العلم من انحرافه.

الفصل الثَّامن: عمل العالم بخلاف ما يعلم.

الفصل التَّاسع: ميزان استقامة طريق شيخ السُّلوك.

الفصل العاشر: شرط شيخ السُّلوك.

الفصل الحادي عشر: جهل شيخ السُّلوك بأمر الله ونهيه.

الفصل الثَّاني عشر: ميزان شيخ الفُقراء وعلامة استقامته في طريقته.

الفصل الثَّالث عشر: اجتناب الدَّجلة الكذَّابين من الشُّيوخ.

الفصل الرَّابع عشر: علامات صحَّة طريقة شيخ الفُقراء.

مصدر المُؤلّف:

تتلخَّص المعلومات المُتعلِّقة بمصدر المُؤلَّف في كونه قد استخرجت رسائله الثَّلاث من مجموعٍ مُودعٍ في (مكتبة حاجي سليم آغا) في إسطنبول، وهي إحدى مكتبات الإدارة العامَّة للمكتبات؛ التَّابعة لوزارة الثَّقافة التُّركيَّة، ورقم هذا المجموع: (٤٠٤)[١]، وقد رُقِمَ هذا المجموع بخطٍّ مشرقيٍّ مُعتاد.

وتقع هذه الرَّسائل الثَّلاث في عشرين ورقة، ومُسطَّرتها (٢٣) سطرًا، وعدد كلماتها المُودعة في أسطرها تتراوح ما بين (١٠ ــ ١٤) كلمة.

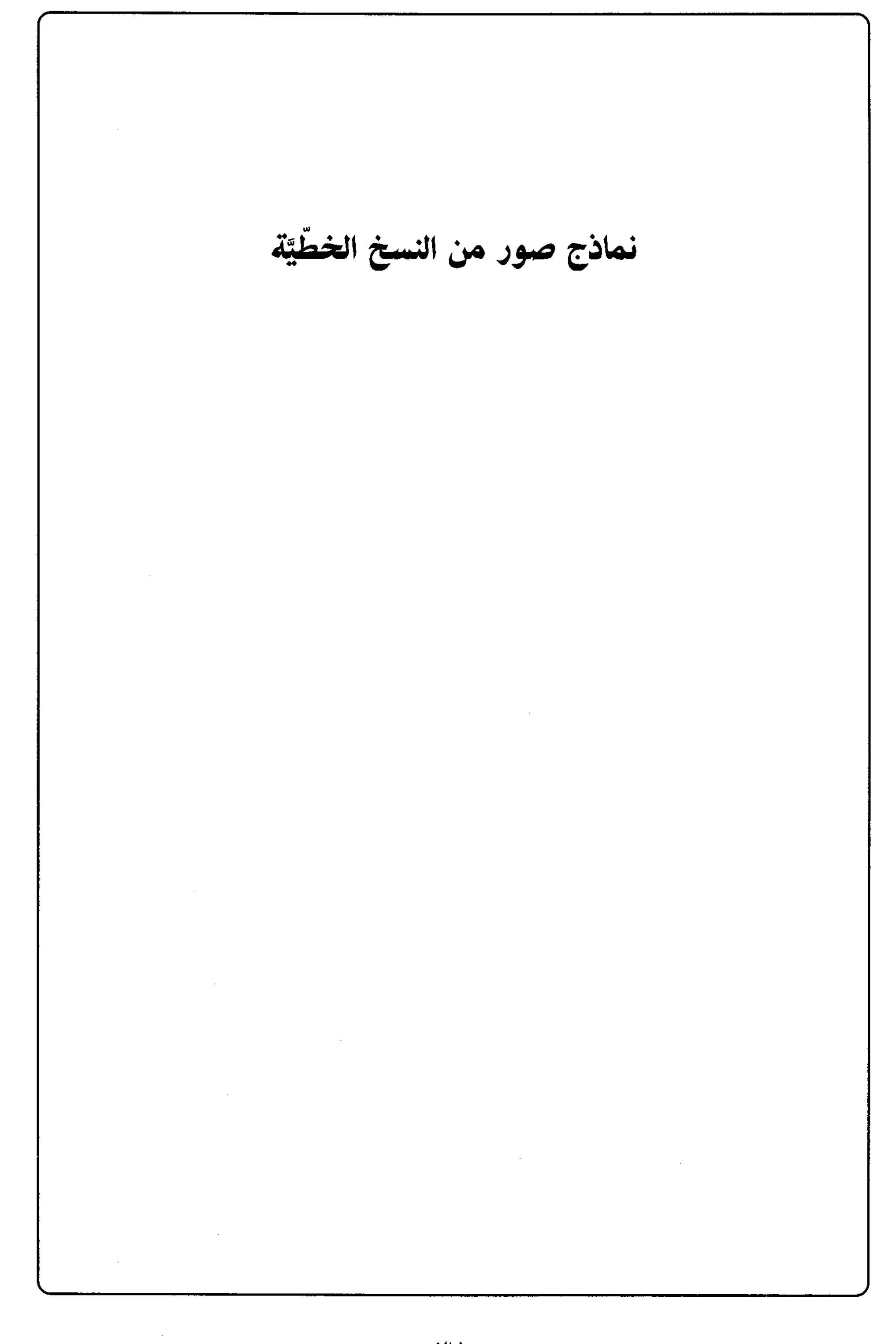
وإليك صُور أوائل وأواخر هذه الرَّسائل الثَّلاث:



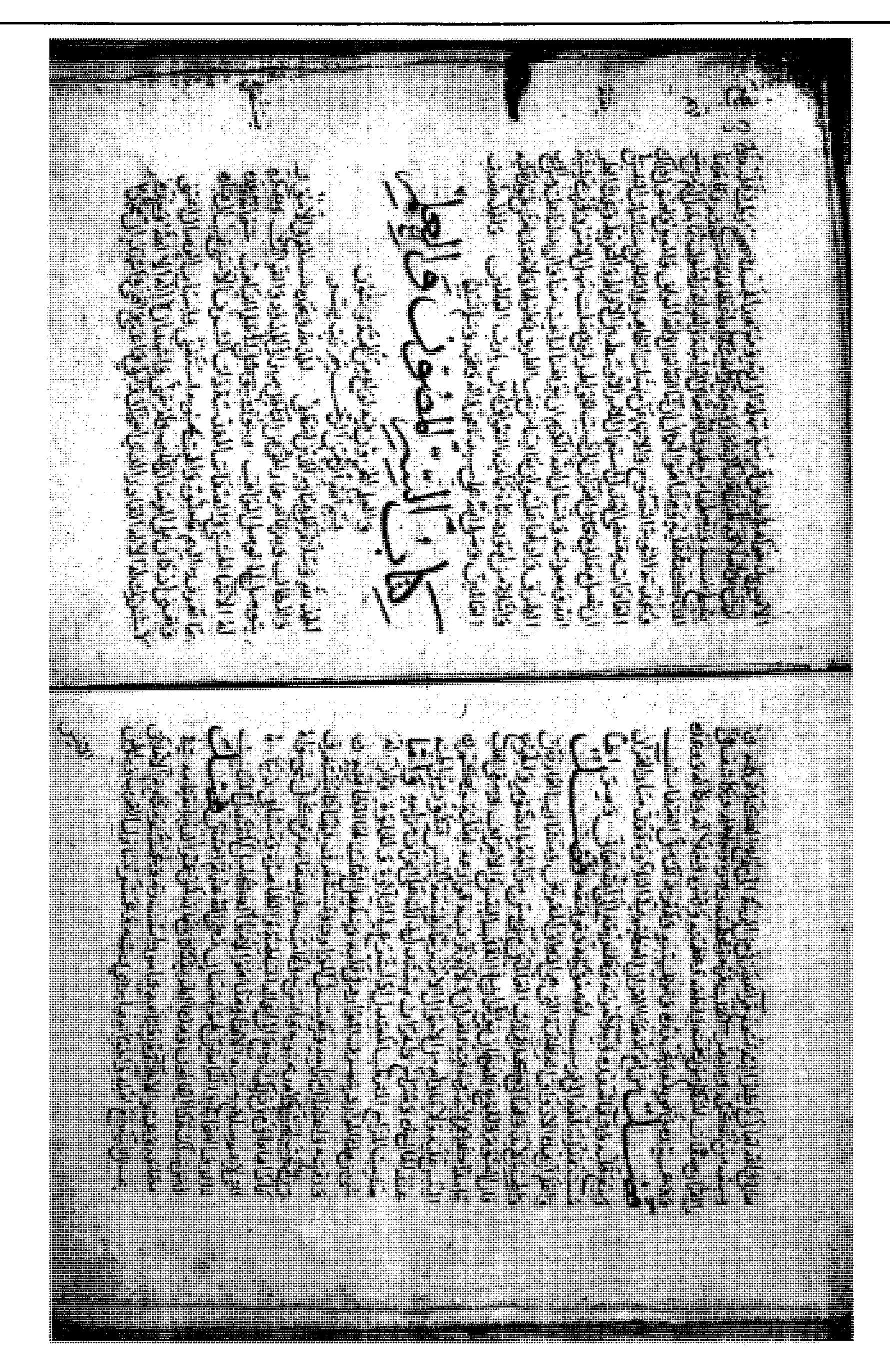
---

(١) أكرمني بصورةٍ من نُسخ الرَّسائل الخطيَّة: من له بالعلم بالغ عنايةٍ؛ وبأهله سابغ رعايةٍ: الشَّيخ الجليل؛ والأخ النَّبيل: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميُّ؛ حفظه الله تعالى ورعاه، وبارك في جهده ومسعاه.

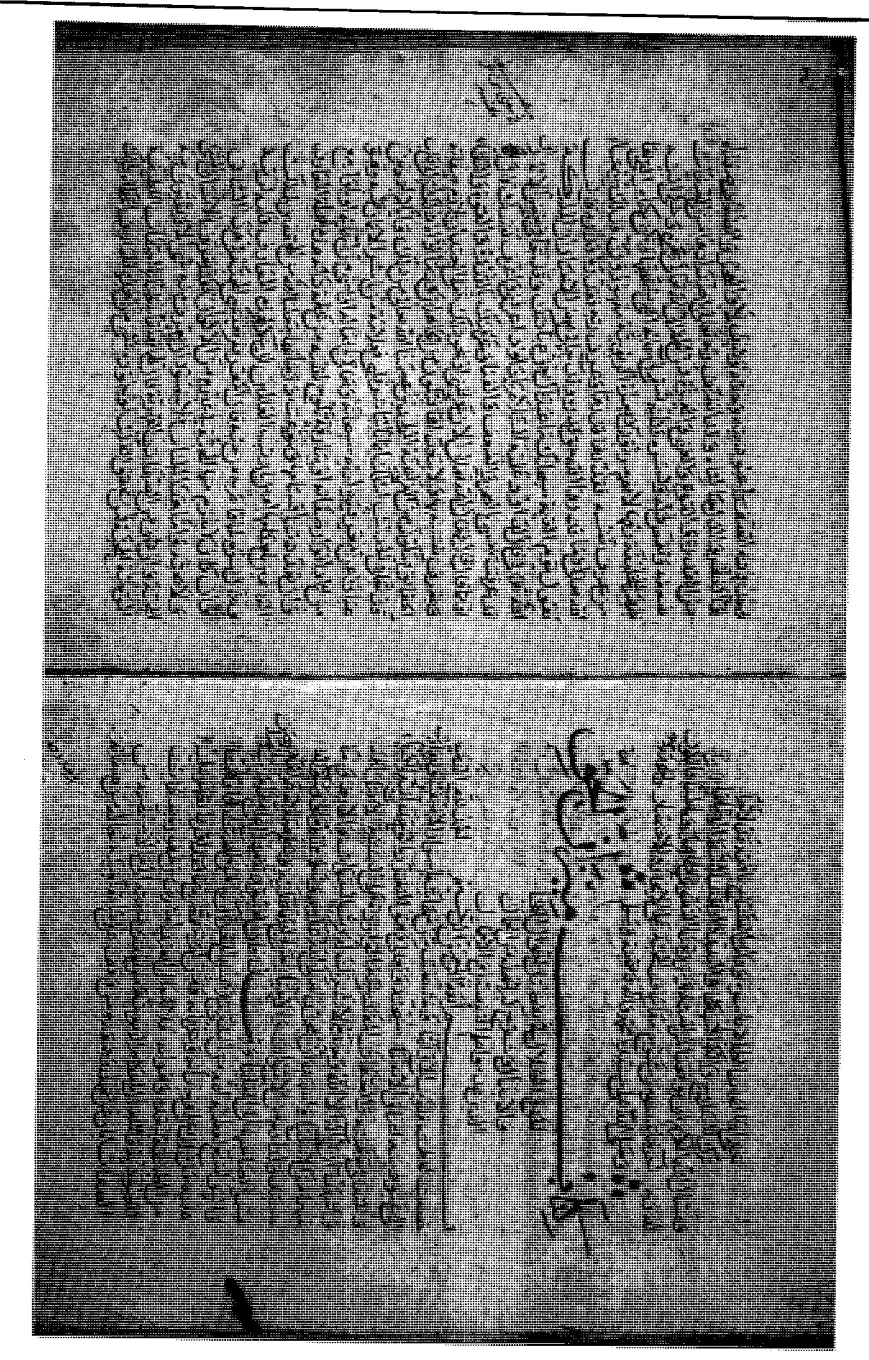




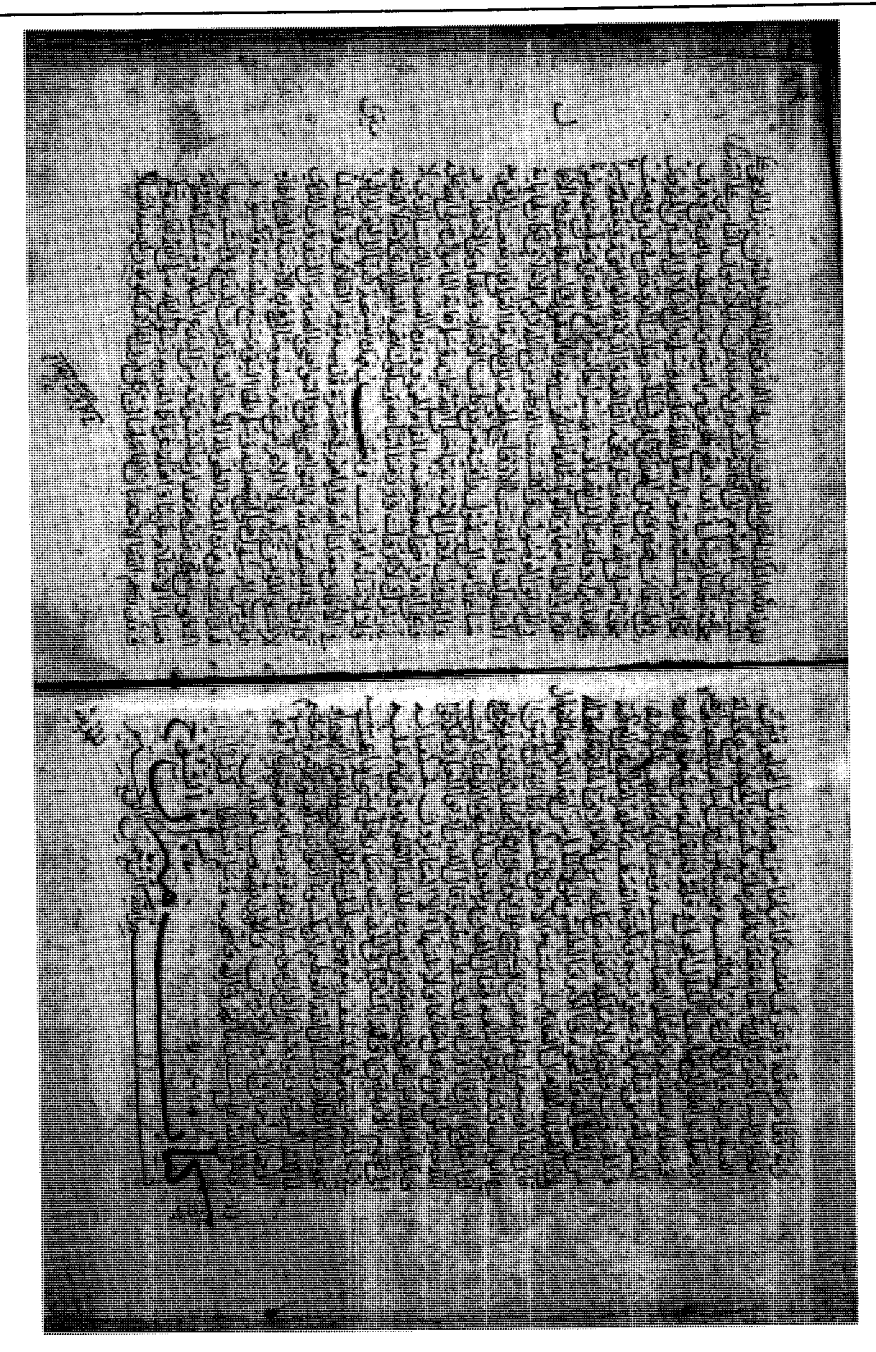
نماذج صور من النسخ الخطّيّة



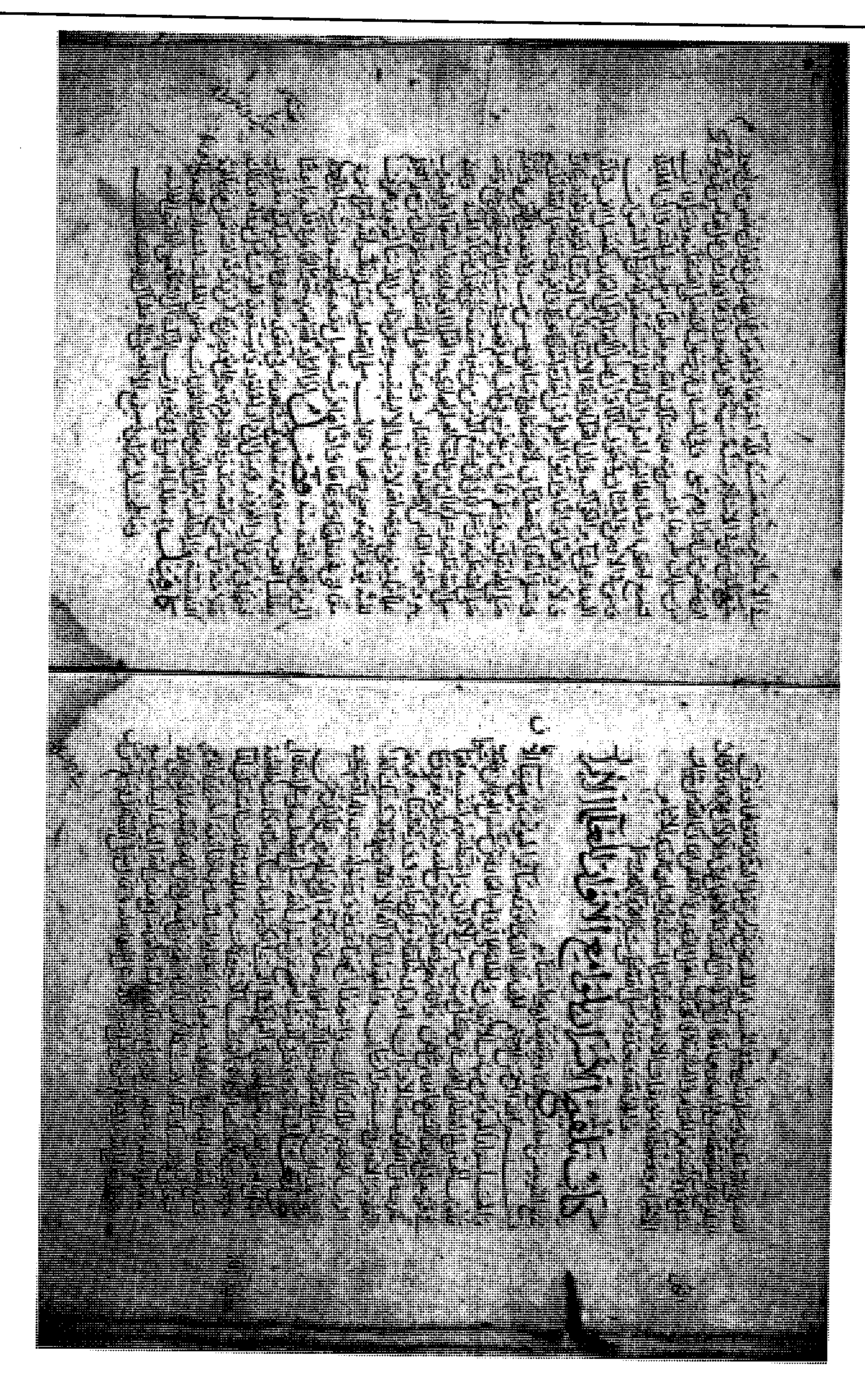
صُورة عُنوان وفاتحة الرِّسالة الأُولى



صُورة خاتمة الرِّسالة الأُولى؛ وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّانية



صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّانية؛ وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّالثة



صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّالثة

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٢٠٣)

السِّرُّ المَصُونُ وَالعِلْمُ المَخْزُونُ فِيهِ لَوَائِحُ مِنَ المَحَبَّةِ وَشُؤُون

تَأْلِيفُ
الإِمَامِ الزَّاهِدِ النَّاسِكِ وَالعَالِمِ العَابِدِ السَّالِكِ
عِمَادِ الدِّينِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَد بن إبْرَاهِيم الوَاسِطِيّ
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

الحمد لله وبحمده نستفتح في الأُمور والمطالب، وبفُرقانه ينحاز الباطل عن الحقِّ مُميَّزًا في الحُدود والقوالب، وبشُكره يُتوصَّل إلى توصُّل المواهب، وبنُوره نستضيء في ظُلم الغَيَاهِب[1].

سُبحانه وبحمده له الأسماء الحُسنى؛ والصِّفات المُقدَّسة ذات الشَّرف الأسنى، تحبَّب إلى عباده بما تعرَّف به إليهم فأحبُّوه والمُحبُّ بمحبوبه استغنى، وبأسباب الوصال اعتنى وتعنّى[2]، إذ كان على الوصال يدأب وله يتمنَّى.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له؛ الإله القادر الذي أضحك وأبكى، وأغنى وأقنى.

---

(١) أي: جمع الغَيْهَب، وهي: الظُّلمة.

(٢) أي: نَصِب وتجشَّم.

وأشهد أنَّ مُحمَّدًا ﷺ عبده ورسوله؛، بعثه فاتحًا للخير مُصرِّحًا بالحقِّ فما عنه أكْنَى، جذب[1] به الهمم إلى المحلِّ الأقدس في الصُّورة والمعنى، قرَّبه وأدناه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2]؛ صلَّى الله عليه وعلى آله صلاة تكون إلى كُلِّ خيرٍ يُذخر[3]، ويُقتنى.

وبعد:

فإنَّ بعض من نُحبُّ حقَّه من الإخوان في الله تعالى ـ أهل العلم والنَّقل والأثر ـ: أشار بتعليق كلماتٍ مُوجزاتٍ في تفاصيل شأن المحبَّة ومراتبها.

فأقررت له بقلَّة البضاعة وقُصور العبارة.

ثُمَّ رأيت أنَّ الله تعالى جبلني على مَحبَّة أهل الحديث والانفعال لهم؛ فاستخرت الله تعالى وافتقرت إليه في ذلك؛ فوجدت باعثًا، فها أنا[4] أتتبَّع ما يُجريه الله تعالى على القلم، وأسأله أن يجعله مرقاة إلى أبواب الجُود والكرم؛ وإليه أرغب أن ينفع به من وقف عليه، وأن يفتح له بكرمه فيه طاقة[5] إليه؛ إنَّه وليُّ من تولَّاه وقام بالعُبوديَّة بين يديْه.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (جدب).

(٢) سُورة النَّجم: الآية ٩.

(٣) أي: يُختار ويُتَّخذ.

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (فهانا).

(٥) الطَّاق: ما عُقد من الأبنية وعُطف؛ وجُعل كالقوس.

الفصل الأوَّل

في المُقدِّمات التي يتعيَّن تقديمها على هذا الشَّأن لأنَّها علاماتٌ للاستعداد له بواضح البُرهان

معلومٌ أنَّ الله تعالى إذا أراد بعبده خيرًا: أيقظ قلبه من سِنَة الغفلة، وأثار عزائمه إلى طلب القُرْبة من الله تعالى وكريم الزُّلفة؛ وألهمه التَّجافي عن دار الغُرور؛ والإنابة إلى دار الخُلود، والاستعداد للموت قبل نُزوله؛ وينهض[1] للتَّوبة النَّصوح، ويحفظ الرَّأس وما وعى، والبطن وما حوى؛ وليذكر الموت والبِلَى[2]، ويترك زينة الدُّنيا، ويستحيي من الله حقَّ الحياء.

أوَّل علامات ذلك: مُباينة الغافلين؛ ومُواصلة العابدين، والإخلاص لله في العُلوم والأعمال، والصِّدق في المساعي الظَّاهرة والباطنة لطلب التَّرقِّي والكمال.

يعبد الله ويُريد وجهه في الحركات والسَّكنات، ولا يُريد الخلقَ بشيءٍ من أعماله في الخلوات.

ومتى خُلق فيه مثل هذه الأعمال القلبيَّة والقالبيَّة: تطهَّر من الأدناس والذُّنوب، وتصفَّى عن جميع ما يَشِينُه من العُيوب، وعبد الله وأناب إليه، وعوَّل في جميع أحواله عليه؛ وصار له قلبٌ خاشعٌ، ونُورٌ ساطعٌ، وبُرهانٌ لامعٌ؛ تظهر عليه آثاره، وتعلو فيه أطواره.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وينهظ).

(٢) أي: تذكَّر الموت الذي يُصيِّرك في القبر عظامًا بالية. ومنه سُمِّي الغمُّ بلاء: لأنَّه يُبْلِي الجسم.

خُصوصًا عند الصَّلاة، حين يقوم لربِّ العالمين؛ فالصَّلاة محكُّ الأحوال، فيها يتميَّز الخواصُّ من العوامِّ، ويقع الفرق فيها بين المُشمِّر والبطَّال.

فالغافل إذا تلبَّس بالصَّلاة: تراه ساهيًا؛ وعن الحُضور بقلبه بين يدي ربِّه لاهيًا؛ تعتريه الوساوس الكثيرة؛ ويغفل عن الأسرار الخطيرة؛ لتفرقة قلبه عن الله في جُزئيَّات الأكوان، ويصير مأوى لوساوس الشَّيطان.

فالصَّلاة ميزانٌ لمن رام وعلم نُقصانه ورُجحانه، وقُرْبه[1] وهوانه.

إن وجد نفسه فيها غافلًا ساهيًا، يستولي عليه حديث النَّفس والوساوس، وتعتريه[2] الأُمور الخارجة عن مُهمَّات الصَّلاة: فليعلم أنَّه بعيدٌ من ربِّه؛ مطرودٌ عن مقصوده وحُبِّه.

وإن وجد نفسه فيها لربِّه مُعظِّمًا، ولوجهه الكريم ذي الجلال والإكرام مُبجِّلًا مُكرِّمًا، إذا قال: الله أكبر؛ لا يجد في قلبه أكبر من الله فيتوسوس به، بل تغيب عنه الأكوان لشدَّة التَّعظيم، ويُنازله الحبُّ والحياء من المَلِك الرَّحيم، ويفهم فيها معاني كلامه، ويحرص على العُكوف عليه بقلبه وفُؤاده؛ يلتجئ إليه فيها بسرِّه، ويُنيب إليه فيها إنابة الخاضع لقهره: فليعلم أنَّ بابه مفتوحٌ؛ وميزانه راجحٌ ليس بمرجوحٍ.

هذه سُنَّة الله تعالى في عباده وخواصِّه ـ أهل قُرْبه واختصاصه ـ، فليبشَّر حينئذٍ بميراث المُعاملة ومبادئ أُمور المحبَّة العامَّة والخاصَّة؛ فلمثل هذا: يُشرع شرح المحبَّة وشُؤونها؛ لأنَّه قد صار في طريقها،

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وقربة).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (ويعتريه).

وأخذ في ذوقها وتحقيقها، لأنَّ الحكمة لا تُظلم ببذلها لغير أهلها، كما أنَّها لا تُمنع من مُستحقِّها، وبالله التَّوفيق.

الفصل الثَّاني

في مراتب المحبَّة وشؤونها

لا ريب أنَّ المحبَّة لله تعالى ولرسوله ﷺ: واجبتان في أصل الإيمان[1]، لا يتمُّ الإيمان إلَّا بهما.

رُوي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**لا يُؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من أهله ووالده وولده والنَّاس أجمعين**»[2].

وهذا يدلُّ على المحبَّتيْن جميعًا، لأنَّ حُبَّ الرَّسول ﷺ لا يسكن إلَّا في قلب مُحبِّ الله تعالى، فمن لوازم حُبِّ الرَّسول: حُبُّ مُرسله؛ ولا ينعكس، فقد يكون في أهل الملل من يُحبُّ الله تعالى على دينه وكتابه المنسوخ، ولا تنفعه تلك المحبَّة عند الله تعالى، فمحبَّة الرَّسول واتِّباعه: من علامات حُبِّ الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾[3].

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ في محبّته تعالى ورسوله).

(٢) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب حُبُّ الرَّسول ﷺ من الإيمان ـ الحديث رقم (١٥) ـ ١/ ٣٠]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب وُجوب محبَّة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والنَّاس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يُحبَّه هذه المحبَّة ـ الحديث رقم (٤٤) ـ ١/ ٦٧] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، ولفظ البُخاريِّ: «**لا يُؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والنَّاس أجمعين**».

(٣) سُورة آل عمران: الآية ٣١.

ورُوي أيضًا عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، ومن أحبَّ عبدًا لا يُحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكُفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النَّار**»(١).

فالإيمان لا يتمُّ حتَّى تُوجد حلاوته، ومن كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما: فقد وجد حلاوة الإيمان بحسبه، فإنَّ لكمال الإيمان فُروعًا(٢) عالية يترقَّى المُؤمن فيها؛ فيكون أكمل ممَّن هُو دُونه فيها، ولهذا المعنى ـ وهُو(٣) قولنا: بحسبه ـ يظهر الفرق بين إيمان الأنبياء الذي صدر عن كشفٍ وعيانٍ؛ وبين إيمان الصِّدِّيقين الذي صدر عن نُورٍ وبُرهانٍ؛ وبين إيمان الشُّهداء والصَّالحين الذي صدر عن يقينٍ وفُرقانٍ؛ وبين عوامِّ المُسلمين الذي صدر عن تصديقٍ وبيانٍ، وكُلٌّ في إيمانه كاملٌ بحسبه(٤)، وهُو أكمل في الإيمان ممَّن هُو دُون منزلته.

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب من كره أن يعود في الكُفر كما كره أن يُلقى في النَّار من الإيمان ـ الحديث رقم (٢١) ـ ١/ ٣١]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان خصالٍ من اتَّصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان ـ الحديث رقم (٤٣) ـ ١/ ٦٦] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، ولفظ البُخاريِّ: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، ومن أحبَّ عبدًا لا يُحبُّه إلَّا لله، ومن يكره أن يعود في الكُفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يُلقى في النَّار**».

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (فُروع).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (هُو).

(٤) كمال الإيمان نوعان: كمال المُقرَّبين، وهو الكمال بالمُستحبِّ، وكمال المُقتصدين، وهو الكمال بالواجب فقط. فكمال الإيمان ينصرف إطلاقه إلى =

فمحبَّة الرَّسول ﷺ واجبةٌ؛ لا يتمُّ الإيمان إلَّا بها، وهي نوعان: نوعٌ منها فريضةٌ، ونوعٌ آخر نافلةٌ وفضيلةٌ، ويتعيَّن التَّفريق[1] لئلا يلتبس الفرض منها بالسُّنَّة والفضل.

وكُلٌّ يعلو في محبَّة الرَّسول ﷺ أيضًا على حدِّ مرتبته من إيمانه ومحبَّته لله تعالى.

فالصِّدِّيقون لهم من محبَّته[2] المنزلة العالية، كما أنَّ نصيبهم من محبَّة الله تعالى جزيلة وافرة، وكما أنَّ حظَّهم من مُتابعته أعلى الحُظوظ، والصِّدِّيقون أعلم النَّاس بالرُّسل وعظم شأنهم وعُلُوِّ أقدارهم، ومع ذلك فلا يُحيطون به علمًا؛ لأنَّ شأن الرُّسل جلَّ أن يُلحظ، وحقائقهم غابت فلا يُدرك منها كُلُّ عارفٍ إلَّا بحسبه.

ثُمَّ يتلوهم في العُلُوِّ في محبَّة الرَّسول ﷺ الشُّهداء؛ ثُمَّ الصَّالحون، كما يتلوهم في محبَّة الله تعالى على القاعدة المُقرَّرة.

= المُؤمنين الإيمان الواجب الذي به يستحقُّون الثَّواب بلا عقابٍ، ولهم المُوالاة المُطلقة والمحبَّة المُطلقة، وإن كان لبعضهم درجاتٌ في ذلك بما فعله من المُستحبِّ، فإذا ارتكب كبيرة لم يكن منهم حقيقة؛ لنقص إيمانه الواجب الذي به يستحقُّون الثَّواب المُطلق بلا عقابٍ، ولا يجب أن يكون من غيرهم مُطلقًا، بل معه من الإيمان ما يستحقُّ به مُشاركتهم في بعض الثَّواب، ومعه من الكبيرة ما يستحقُّ به العقاب. مُلخَّصٌ من كلام ابن تيميَّة [في «جواب من يقول: إنَّ النُّصوص لا تفي بعُشر معشار الشَّريعة» (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة): ١٩/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤].

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (التَّفرُّق).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (محبَّة).

فالنَّوع الأوَّل من محبَّته ﷺ ـ الذي هُو فرضٌ على الأُمَّة ـ: قبول ما جاء به من محبَّة الله تعالى؛ من المحبَّة بالتَّعظيم والتَّوقير والتَّعزير(١). ثُمَّ حُسن الاتِّباع له فيما بلَّغه عن ربِّه؛ من اتِّباع أمره واجتناب نهيه. ثُمَّ نُصرة دينه بالنَّفس والمال، والجهاد فيه لمن حاد عنه؛ باليد واللِّسان ـ على قدر الاستطاعة ـ والجَنان. فهذا القدر الذي لا يتمُّ الإسلام والإيمان إلَّا به؛ وهُو فرضٌ واجبٌ، وأمرٌ حتمٌ لازمٌ.

النَّوع الثَّاني من محبَّته ﷺ ـ الذي هُو بمثابة السُّنَّة التي بها تكميل الفريضة ـ: فهُو حُسن التَّأسِّي به، وتحقيق الاقتداء بسُنَّته، والاعتناء بمعرفة سيرته، واهتزاز القلب عند ذكره وتصوُّره، وكثرة الصَّلاة عليه(٢)، لما سكن في القلب من محبَّته واقتفاء آثاره في عباداته وعاداته وأخلاقه وآدابه في تهجُّده وسواكه وطهوره وصلاته وطعامه وشرابه ولباسه ومُعاشرته الأصحاب والأزواج؛ من حُسن حركاته وسكناته وتبسُّمه ومزاحه وسائر أحواله في عُلومه وأعماله.

---

(١) أي: النُّصرة والتَّعظيم؛ والإعانة والتَّفخيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سُورة الفتح: الآيتان ٨ ـ ٩].

(٢) يُصدِّق ذلك: ما أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (٦) ـ ١/ ١٨٥]، والتِّرمذيُّ في سُننه [كتاب الدَّعوات/ باب (١٠٦) ـ الحديث رقم (٣٥٥٨) ـ ص٨٠٨] عن رفاعة بن رافعٍ الأنصاريِّ قال: سمعت أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه يقول على منبر رسول الله ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول، فبكى أبو بكرٍ حين ذكر رسول الله ﷺ، ثُمَّ سُرِّي عنه، ثُمَّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذا القيظ عام الأوَّل: «**سلوا الله العفو والعافية واليقين في الآخرة والأُولى**».

فبذلك يظهر على العبد فضل محبَّته ونافلتها بحسبه بعد القيام بالنَّوع الأوَّل من واجب المحبَّة وفرضيَّتها أيضًا بحسبه، والله المُوفِّق للصَّواب.

الفصل الثَّالث[1]

في البيان عن محبَّة الله تعالى

وهي أيضًا ثلاثة أنواعٍ: واجبٌ؛ لا يتمُّ الدِّين إلَّا به. ومُؤكَّدٌ؛ به تظهر[2] سلطنة الإيمان في القُلوب، وترسخ قواعده على المنهج التَّام من الأمر المطلوب، وهُو نوعٌ خاصٌّ لأهل الخُصوص. ونوعٌ ثالثٌ؛ وهُو المقصود الأقصى منه لأهل خُصوص الخُصوص.

*** النَّوع الأوَّل: وهي المحبَّة الواجبة التي لا يتمُّ الدِّين إلَّا بها:**

وهي قسمان:

القسم الأوَّل: هُو الاستسلام لما أمر الله تعالى به، مع الميل إليه والانقياد لأحكامه التي شرعها، مع الصَّبر على تنفيذها والرِّضا بها، مع انشراح الصَّدر لها، وعدم المُنازعة والحرج فيها، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3].

ولهذا النَّوع من المحبَّة أسبابٌ تُوجبها وتقتضيها[4].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (الثَّاني).

(٢) في النسخة الخطيَّة: (يظهر).

(٣) سُورة النِّساء: الآية ٦٥.

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (يُوجبها ويقتضيها).

فالأسباب التي تبعث على الطَّاعة والاستسلام والميل والانقياد والصَّبر على تنفيذ الأحكام الشَّرعيَّة والرِّضا: فهي مُطالعة الوعد والوعيد أولًا وعظم شأنه، وما يناله الفائزون به من النَّعيم المُقيم والفلاح الدَّائم والغبطة التَّامَّة والفرح والحُبور المُتواصل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾ إلى آخرها[3].

وبذلك تشتاق القُلوب إلى الطَّاعات، وتقوم لله بالواجبات والمُستحبَّات، رغبة فيما عند الله تعالى من الثَّواب، ثُمَّ مُطالعة الوعيد وعظم شأنه، وما يترتَّب عليه مَنْ حقَّت الكلمة عليه بالأمر المُتوعَّد من السَّلاسل والأغلال؛ والجحيم والأنكال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[4].

---

(١) سُورة المُطفِّفين: الآيات ٢٢ ـ ٢٦.
(٢) سُورة الإنسان: الآيات ٥ ـ ٢١.
(٣) سُورة الحاقَّة: الآيات ١٩ ـ ٢٤.
(٤) سُورة المُزَّمِّل: الآيات ١٢ ـ ١٤.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾[1].

فبذلك تنزجر النُّفوس عن المُحرَّمات، ويعظم لديها رُكوب المُخالفات، وتتوطَّن على المُحاسبة والرِّعاية وحفظ الجوارح السَّبع[2] عمَّا حرَّم الله بالحراسة والكلاءة، وتستقيم التَّوبة في حقِّ التَّائب، وتصير نصوحًا لقيامه بترك مناهي ربِّه.

فبتأمُّل الوعد والوعيد المُوجبيْن[3] للرَّجاء والخوف: يسهل على النُّفوس الانقياد إلى الله تعالى، وتميل بالرَّغبة والرَّهبة إليه، وبذلك تحمَّل النُّفوس أثقال الطَّاعة وتصبر عليها، وتصير مُطمئنَّة راضية بمشيئة الله تعالى ومعونته وتوفيقه، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

القسم الثَّاني من المحبَّة المفروضة: محبَّة الله تعالى لنعمه وآلائه الظَّاهرة والباطنة، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[4].

---

(١) سُورة الحاقَّة: الآيات ٢٥ ـ ٣٢.
(٢) أي: العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل، كما ذكره ابن شيخ الحزَّاميِّين في: «مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطَّلب والإرادة» ص٧٥، و«مفتاح الطَّريق إلى سُلُوك التَّحقيق» ص٩١، و«مفتاح طريق المُحبِّين وباب الأُنس بربِّ العالمين» ص١١٢. وهي مطبوعة ضمن رسائل لقاء العشر الأواخر بالمسجد الحرام، عن دار البشائر الإسلامية، بيروت، سنة ٢٠١٢م.
(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (الموجبان).
(٤) سُورة لُقمان: الآية ٢٠.

فمعرفة المُنعم بنعمه والمحبَّة له وشُكره عليها واجبٌ، كما أنَّ معرفة صاحب الدَّيْن ومحبَّته واجبٌ. ومعرفة المُنعم بنعمه: تُثير محبَّة المُنعم وشُكره، كما أنَّ جُحود النِّعم وكُفران المُنعم: أصل الكُفر والنِّفاق وفرعه.

فمحبَّة الله تعالى لما يغذونا من نعمه فرضٌ افترضه علينا، كما أنَّ شُكره واجبٌ علينا.

ومحبَّة المُنعم تقتضيها الفطرة التي فطر الله تعالى الخلق عليها من الإنسان والحيوان.

* **فالقسم الأوَّل** من المحبَّة المُفترضة: يَطْلُع[1] من مطلع الإلهيّة.

* **والقسم الثَّاني منها**: يَطْلُع من مطالع الرُّبوبيَّة.

فالإله: هُو المعبود الذي تعرَّف إلى عباده بشرائعه ورُسله وفرائضه ومسنوناته ومُستحبَّاته، فألهته القُلوب لذلك وعبدته.

والرَّبُّ: هُو الذي يربُّ العالم ويقوم بهم، ويغذوهم بنعمه وآلائه، ويتعرَّف إليهم بأصناف نعمه في ظواهرهم وبواطنهم.

فمن عرف ربَّه بالقسم الأوَّل؛ فأطاعه وأناب إليه وأحبَّه، ثُمَّ عرف ربَّه بالقسم الثَّاني؛ فشكره وأحبَّه واعترف له بنعمه: تمَّت المحبَّة الواجبة في حقِّه، وكمل له نوعها بحسبه ـ كما تقدَّم أولًا ـ.

ولهذا القسم من المحبَّة أسبابٌ تُسهِّل طُرقها؛ وتفتح أبوابها، كما أنَّ للقسم الأوَّل أسبابًا تقدَّم ذكرها.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (تطلع).

فأمَّا الأسباب المُسهِّلة لطريق هذا القسم من محبَّة الآلاء والنَّعماء: فهي الاعتناء بالتَّفكُّر في مبادئ النِّعم وأُصولها، وسريان النَّظر والاعتبار في الصُّنع والصَّنيعة والصَّانع، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(٣).

* ومن صفا سرُّه وسرت أفكاره في مبادئ الحكمة وتراتيبها؛ وأُصول النِّعم ومبادئها: وقع في بحرٍ زاخرٍ تيَّارُه؛ بعيدٍ قرارُه؛ يَستخرج منه دُرَّ المعارف، وفُنونَ اللَّطائف كُلُّ مُنيبٍ إلى ربِّه خائفٍ. ومَن الذي يُحصي نعماءَه ويعدُّ آلاءه وقد فاقت حدَّ الإحصاء؛ وعجَّزت مُحصيها عن الاستقصاء؟

وَفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ ... تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ وَاحِـدٌ(٤)

---

(١) سُورة الأعراف: الآية ١٨٥.

(٢) سُورة الشُّورى: الآية ٢٩.

(٣) سُورة فُصِّلت: الآية ٥٣.

(٤) قال البيهقيُّ [في الجامع لشُعب الإيمان: ١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨]: (إنَّ أبا العتاهية إسماعيل بن قاسمٍ جاء إلى دُكَّان سقيفة الورَّاق، فجلس وتحدَّث، ثُمَّ ضرب بيده إلى دفترٍ فكتب في ظهره:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ =

ولينظر المُتفكِّر في قول الله عزَّ وجلَّ في تعديد نعمه علينا في السُّورتيْن المُتتابعتيْن: الطَّامَّة والصَّاخَّة.

قال الله تعالى في سُورةُ الطَّامَّة: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[1].

كيف ختم الله ذكر نعمه علينا بقوله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾؟

قال الله تعالى في سُورة الصَّاخَّة: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[2].

فسُبحان من ابتدأنا بنعمه قبل استحقاقها.

وهذا ميدانٌ عريضٌ لفُرسان العارفين، الذين غسلت الطَّاعات عن قُلوبهم أدران الطَّبائع فصفت بصائرهم عن كُدورات الرَّذائل، وكُحِّلت

= ثُمَّ ألقاه ونهض، فلمَّا كان من الغد أو بعد ذلك: جاء أبو نوَّاسٍ فجلس وتحدَّث، وضرب بيده إلى ذلك الدَّفتر، فقال: أحسن؛ قاتله الله، والله لوددُّته لي بجميع ما قلته، لمن هي؟ قُلت: لأبي العتاهية. فقال: هو أحقُّ به).

وانظر: طبقات الشُّعراء لابن المُعتزِّ ص٦٢، الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٣/ ٦٠.

ونسبه ابن كثيرٍ [في تفسير القُرآن العظيم: ١/ ١٩٨] إلى ابن المُعتزِّ.

(١) سُورة النَّازعات: الآيات ٢٧ ـ ٣٣.

(٢) سُورة عبس: الآيات ٢٤ ـ ٣٢.

بإثْمِد اليقين فرأت الأشياء على ما هي عليه من منارها ومبادئها وأُصولها ومبانيها وظواهرها ومعانيها، كما قيل[1]:

قُـلُـوبُ الـعَـارِفِـيـنَ لَـهَـا عُـيُـونٌ   تَـرَى مَـا لا تَـرَاهُ الـنَّـاظِـرِيـنَـا

وليس هذا شأن من قيَّدته الشَّهوات؛ وأسرته الخطرات؛ واستولت عليه الرِّئاسات، فهُو مُرتطمٌ في قُيوده، مُغيَّبٌ عن نُجْح[2] مقصوده، كما قيل[3]:

وَمَـنْ يَـكُـنْ فِـي شِـرَكِ الأَسْبَـابِ   أَنَّـى لَـهُ بِـزَوْرَةِ الأَحْـبَـابِ

تلك والله منازل الأحرار، الذين تحرَّروا من رقِّ النُّفوس؛ إلى عُبوديَّة المَلِك القُدُّوس، فرأوا آثاره؛ وفهموا أخباره، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

وهذا القسم من المحبَّة ـ الذي هُو محبَّة الآلاء والنَّعماء ـ: برزخٌ بين المحبَّة المُفترضة العامَّة؛ وبين المحبَّة الخاصَّة، متى استعدَّ المُحبُّ العارف لها: شارف أهل الخُصوص من المحبَّة بمعونة الله وتوفيقه.

وصفاء الفكرة ـ الذي هُو نتيجة تصحيح التَّوبة ـ: سببٌ إلى حُصول القسم من المحبَّة، لأنَّ بصفاء الفكرة: يسري في علم أفعال الله

---

(١) أخرج الأصفهانيُّ [في حلية الأولياء: ١٠/ ٢٠٠]: عن يُوسف بن الحُسين قال: (سُئل سهل بن عبد الله: أيُّ شيءٍ أشقُّ على إبليس؟ قال: إشارة قُلوب العارفين، وأنشد:

قُـلُـوبُ الـعَـارِفِـيـنَ لَـهَـا عُـيُـونٌ   تَـرَى مَـا لا يَـرَاهُ الـنَّـاظِـرُونَـا)

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (نحج).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) سُورة المُجادلة: الآية ٢٢.

تعالى؛ بعد سريانه في علم أوامر الله تعالى، فمن رُزق معرفة الله تعالى من طريق أوامره ونواهيه وشرائعه وطاعاته ومراضيه: كان عارفًا مُحبًّا من طريق الأوامر، فإذا حقَّق علم أفعال الله؛ وقام بشُكر أياديه ونعمه؛ وحقَّق محبَّته في هذه الرُّتبة: كان عارفًا مُحبًّا في رُتبة الأفعال، وكمل له حينئذٍ فرض المحبَّة لقيامه بالأمريْن جميعًا، وحينئذٍ يُرجى له التَّرقِّي إلى المحبَّة الخاصَّة، وهي محبَّة الصِّفات.

*** النَّوع الثَّاني: وهُو الحُبُّ المُؤكَّد الذي به يظهر سُلطان الإيمان؛ ويعلو في القلب شُعاعه؛ وترسخ قواعده وآثاره:**

وهي محبَّة الصِّفات المُستلزمة لمحبَّة الذَّات.

فمُحبُّ الصِّفات: هُو مُحبُّ الذَّات؛ لكن بواسطة الصِّفة، وفي الذَّات مُستقرُّ المحبَّة؛ وإليها يرجع.

والسَّبب المُوجب لها: سُطوع أنوارها في القلب، وقُوَّة إشراقها على الرُّوح والسِّرِّ: بمثابة شُعاع الشَّمس إذا أبهر البصر؛ ووصلت حرارته إليه، وذلك في القلب المُصفَّى من كدر الذُّنوب، الشَّارب من كأسها بيد المحبوب.

ولهذه المحبَّة الخاصَّة أيضًا أسبابٌ تُسهِّل طُرقها؛ وتُهيِّئ سبيلها؛ وتُقوِّي موادَّها.

فلنبدأ أولًا بذكر الأسباب؛ قبل مشارب الأحباب.

*** فمن أسبابها**: تحقيق العُلوم والأعمال المبدوء بذكرها في المقامات المُفترضة العامَّة، من الاعتناء بصحَّة التَّوبة، وحفظ الجوارح بالمُحاسبة، والقيام بالواجبات لله تعالى، والنُّصح فيها له بلُزوم

المُواظبة، وتصفيتها عن الشَّوائب القادحة والمُفسدة لها بالرِّعاية والمُراقبة، فإنَّ بتحقيق ذلك: تصفو الجوارح والقُلوب عن الأكدار المُلوثِّة لها، وترقُّ الحُجب الحائلة دُونها.

ومن الأسباب المُوجبة لها: صحَّة العقائد عُمومًا[1]، فإنَّ العقائد أُصول المشاهد، والمشاهد أُصول المقاعد. فمن صحَّ اعتقاده: صحَّ مشهده، ومن صحَّ مشهده: كان في مقام الصِّدق مقعدُه، ومن فسد مُعتقده: فسد مشهده، وانحطَّ إلى الدَّركات مقعدُه.

ولهذا المعنى: تخلَّف كثيرٌ من صُلحاء المُتفقِّهة والمُتعبِّدين عن نَيْل شيءٍ من هذه الأذواق الفاضلة.

فمن رام زوال الحجاب: فليُؤمن بصفات ربِّ الأرباب، وليُثبتها له سُبحانه كما تليق به؛ عريَّة عن التَّمثيل، ولا ينحرف فيها إلى تمثيلٍ وتعطيلٍ.

أوَّلها: صفة العُلُوِّ والفوقيَّة، فليُؤمن بها، وليُثبتها لله تعالى على الحقيقة اللائقة لله، ولا يكن واقفًا فيها؛ ولا عادلًا إلى التَّأويل من عُلُوِّ المرتبة ونحوها؛ وغير ذلك من الانحراف، بل يُؤمن بأنَّ الله تعالى فوق كُلِّ شيءٍ، وليس كمثله شيءٌ، قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[2]. وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[4].

فمن صحَّ بهذه الصِّفة إيمانه؛ وتوجَّه إلى ربِّه بقلبه في صلاته

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ في العقائد).

(٢) سُورة النَّحل: الآية ٥٠.

(٣) سُورة فاطر: الآية ١٠.

(٤) سُورة النَّحل: الآية ١٠٢.

وعبادته: صار[1] لقلبه قِبلة بعد أن كان ضائعًا لا يعرف وجهته.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2]: بعلمه وسمعه وبصره وقُدرته ومشيئته؛ بلا مُماسَّةٍ ولا امتزاجٍ، وهُو سُبحانه فوق الأشياء بفوقيَّةٍ تليق به وبجلاله وعظمته؛ لا تكييف ولا تمثيل، لكنَّا نعرف الفوقيَّة المحسوسة عندنا؛ ونُثبتها لربِّنا تعالى كما تليق به إثباتًا محضًا؛ بلا تعطيلٍ ولا تمثيلٍ.

هذا أصل المعرفة الخاصَّة لمن فتح الله لها؛ وحماه عن الإعراض عنها، فمن طلب هذا الفنَّ: لم يسَعْه الإعراض ولا التَّأويل.

ومن اشتغل بالدُّنيا: فالسَّلامة في حقِّه يكون بالإيمان والتَّصديق[3]، وذلك أَوْلَى به من السِّباحة في أبحر العارفين، والجولان في ميادين الصِّدِّيقين.

وما جَهِلَ ذلك أو أعرض عنه: إلَّا لقُصورٍ في علمه، أو لقُصورٍ في صحَّة قصده وقلَّة نُفوذه؛ فقد يُرزق العبد قصدًا صحيحًا: ويكون ذهنه أو علمه فاسدًا أو ناقصًا، وقد يُرزق العبد ذهنًا صحيحًا وعلمًا صحيحًا: ولا يُرزق من صحَّة القصد شيئًا.

ومن تمَّ علمه، وتمَّ قصده: أثبت الأشياء كما تليق بمن أُضيفت إليه، وهذا أوَّل الخير، ثُمَّ يُرجى أن يُفتح لقلبه أذواقها؛ ويُسقى بكُؤوسها من رائق أشربتها وزُلالها المُختصَّة بعُشَّاقها، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وصار).

(٢) سُورة الحديد: الآية ٤.

(٣) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ في المُشتغل بالدُّنيا).

(٤) سُورة الحديد: الآية ٢١، سُورة الجُمعة: الآية ٤.

* **فصلٌ: في تقسيم مراتب هذه المحبَّة وتفصيل شأنها:**

اعلم أنَّ آثار الصِّفات المُقدَّسة مُتنوِّعةٌ، كُلٌّ يلوح لقلبه على قدر ما كُشف له من حجابها.

فأوَّل الصِّفات تبدو لقُلوب العارفين: صفة العُلُوِّ، يتعرَّف سُبحانه[1] إلى قُلوبهم، فإذا لاحت تضاءل العبد خاضعًا نازلًا إلى التُّخوم[2]، تواضعًا للعليِّ بذاته وصفاته فوق الممالك الحيِّ القيُّوم.

وهذه صفةٌ عظيمةٌ؛ فمن رُزق إثباتها أولًا عريَّة عن التَّمثيل؛ ثُمَّ يُسقى قلبه ذوق شرابها إذ خلا قلبه فيها عن التَّعطيل: فهُو الشَّارب حقًّا؛ والواجد صدقًا.

والأذواق لا يُمكن التَّعبير عن حقائقها، كما لا يُمكن التَّعبير عن الحلاوة والحُموضة، إذ لا يعرف المطعومَ حقيقةً إلَّا الذَّائقون، وهذا يُمكن العبارة عنه.

ومنهم من تُنازله[3] صفة الكلام: وهُم أهل العلم بالله والخشية له والفهم عنه.

والكلام شرابٌ من المحبَّة عجيبٌ، يهيم به المُحبُّون، ويشرب بكأسه العارفون، فهُو مبدأ المعارف ومفتاحها بعد صفة العُلُوِّ، لأنَّ صفة العُلُوِّ اقتضت الإثبات؛ وتوجَّهت بالقُلوب إليه، وأصغت بأسماعها إليه، فسمعت بعد ذلك كلامه؛ وفهمت عنه فلا حرج.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (سُبحنه).

(٢) أي: تطامن إلى الأرض تواضعًا، والتُّخوم في الأصل: الحُدود بين الأرضيْن، وفي النُّسخة الخطيَّة: (النُّجوم).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (يُنازله).

لهم فيه تجلِّيات الجمال والجلال؛ والعظمة والكمال.

ظهر الموصوف لقُلوبهم من الكلام تارة بوعده؛ وتارة بوعيده؛ وتارة بقهره؛ وتارة بلُطفه؛ وتارة برحمته؛ وتارة بتهديده وشدَّة بطشه، فدارت عليهم الكاسات؛ وتنوَّعت لديهم الأشربة المُوجبة للحُبِّ والتَّعظيم لاختلاف الصِّفات.

فكُلُّ صفةٍ اقتضت ذوقًا، وكُلُّ ذوقٍ اقتضى حُبًّا، فإذا كانت الصِّفة الواحدة يهيم بها المُحبُّ وتأخذ قلبه: فما ظنُّك بالصِّفات إذا ترادف على القلب ظُهورها؛ واستنار في الرُّوح إشراقها؟

فسُبحان من يُثبِّت على العارفين عُقولهم، وألبسهم السَّكينة والوقار، إذ من جُملة اللُّطف: تعريفهم ما يُطيقون حمله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[١]، التَّقدير في الكلام: لكان هذا القُرآن.

وتجلِّيات الصِّفات في الكلام العظيم ـ وهُو القُرآن المجيد ـ: لا تنحصر[٢] ولا يُحاط بها، وكُلٌّ يلوح له على قدر فهمه منه، والفُهوم تتفاوت على اختلاف المعارف وتفاوتها.

فمن كانت معرفته أنفذ وأعلى: كان فهمه أنهى[٣]، وأبهى، فليس فهم الأنبياء من الكلام كفهم من دُونهم من الصِّدِّيقين والبُدلاء[٤].

---

(١) سُورة الرَّعد: الآية ٣١.

(٢) في النسخة الخطيَّة: (ينحصر).

(٣) أي: أبلغ.

(٤) أخرج الحاكم في مُستدركه [كتاب التَّوبة والإنابة/ الحديث رقم (٧٦٤٣) ـ ٤/ ٢٨١] عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليتمنَّينَّ =

ومن ختمت الشَّهوات على قلبه: لا يتجاوز صُورة الكلام إلى معناه، ولا يخرق[1] من رسمه إلى غايته ومُنتهاه، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[2].

وغاية ما يؤول إليه أمره: أن تسري أفكاره في علَّة المرفوع وعامل المنصوب؛ والإعجاز في الفصاحة والبيان، كما هُو غاية مُنتهى أقدام من حام حول حِمى الرُّسوم؛ ولم يظفر بحقيقة المفهوم.

أمَّا الفهم عن الله تعالى في القُرآن والعلم به؛ أدنى مرتبة أحوال القوم فيه: أن تغيب قُلوبهم في المعاني، فتبقى تتغذَّى به كما تتغذَّى نُفوس أهل الوسوسة بالوساوس، فتصير المعاني عوضًا عن حديث النَّفس، تنوب في القلب عن جميع الوساوس، فتبقى الرُّوح مُجرَّدة تُنازلها أحوال العظمة والكبرياء والجلال والجمال والبهاء، وهذا شُغل من ليس للشَّريعة عليه مُطالبة في ظاهره وباطنه، فـ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[3].

= **أقوامٌ لو أكثروا من السَّيِّئات**»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**الذين بدَّل الله سيِّئاتهم حسناتٍ**».

قال ابن قيِّم الجوزيَّة في [طريق الهجرتيْن وباب السَّعادتيْن: ٢/ ٥٤٠]: (قالوا: وهؤلاء هُم الأبدال في الحقيقة، فإنَّهم إنَّما سُمُّوا أبدالًا: لأنَّهم بدَّلوا أعمالهم السَّيِّئة بالأعمال الحسنة، فبدَّل الله سيِّئاتهم التي عملوها حسناتٍ. قالوا: وأيضًا؛ فالجزاء من جنس العمل، فكما بدَّلوا هُم أعمالهم السَّيِّئة بالحسنة: بدَّلها الله من صُحف الحفظة حسناتٍ؛ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [سُورة النَّبأ: الآية ٢٦]).

(١) أي: ينفذ.

(٢) سُورة النَّجم: الآية ٤٢.

(٣) سُورة الصَّافَّات: الآية ٦١.

ومنهم من تُنازله[1] صفة العلم المُلازمة لصفة الحياة؛ وإن كانت جميع الصِّفات يلزم منها صفة الحياة لكن قد لا يشعر القلب بها.

وهذه صفةٌ عظيمةٌ إذا ذاقت القُلوب شرابها: استولى عليها الحياء، والشُّعور بعلمه سُبحانه؛ قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2].

وكما قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[3].

فإذا استولى على القُلوب الحياء من الشُّعور بعلم الله الواسع المُحيط: خشع القلب لذلك؛ وتضاءل وخنس الوَسْوَاس، كما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[4].

هذا بحُكم ما ظهر للعيان، خشعت له الأصوات؛ فكذلك القُلوب إذا عاينت أمرًا عظيمًا من الغيب: خشعت له بأفكارها ووَسْوَاسِها، فلا تسمع في القُلوب والأفئدة إلَّا همسًا، خشعت للصِّفة المُحيطة بالمخلوقات، وصُمَّت عن كُلِّ فكرةٍ غير مرضيَّةٍ، وتباعدت عن كُلِّ همَّةٍ دنيَّةٍ، لاستيلاء صفة العلم على الأسرار.

ثُمَّ تربطه هذه الصِّفة المُقدَّسة برُوح المحبَّة: فيغيب عن أثر الصِّفة بمحبَّة الموصوف. وهذا البيان قليلٌ من كثيرٍ، وما خفي منه أكثر ممَّا أظهرته العبارة.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يُنازله).
(٢) سُورة البقرة: الآية ٧٧، سُورة هُود: الآية ٥، سُورة النَّحل: الآية ٢٣.
(٣) سُورة المُلك: الآية ١٣.
(٤) سُورة طه: الآية ١٠٨.

ومنهم من تُنازله صفتا السَّمع والبصر.

وحالهما تقرب من صفة العلم، لكن لكُلِّ صفةٍ خُصوصيَّة على الاستقلال إذا انفردت وظهر[1] الموصوف إلى العارف منها، ثُمَّ تجذبه الصِّفات إلى الموصوف، فيغيب به عن أثر الصِّفة كما تقدَّم أولًا.

ومنهم من تنازله صفة الإرادة، فتمتحي عنه كُلُّ إرادةٍ غير شرعيَّةٍ.

وحين تُلاحظه[2] هذه الصِّفة: عبدًا لله؛ تاركًا[3] للاختيار، كما قيل[4]:

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ   فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ ولا مُتَقَدَّمُ

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وطهر).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (تُلاحضه).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (تاكًا).

(٤) هُو مُحمَّد بن عبد الله بن رُزين الخُزاعيُّ الكُوفيُّ، وهُو من مُقدَّمي شُعراء عصره، المُلقَّب بأبي الشِّيص، وقد كُفَّ بصره في آخر عُمره.
قال الرَّاغب الأصفهانيُّ: «قد أجمع الأدباء على تفضيل قول أبي الشِّيص»، وقال أبو هفان: «قول أبي الشِّيص أغزلها»، وقال العسكريُّ: «فهذا غاية التَّهالك في الحُبِّ، ونهاية الطَّاعة للمحبوب»، وقال: «فجعل أبو نوَّاس يعجب من هذا الشِّعر؛ حتَّى لا يكاد ينقضي عجبه».
انظر: مُحاضرات الأُدباء للأصفهانيِّ ١/٣٤٨، نكت الهميان في نكت العميان للصَّفديِّ ص٢٥٧، من غاب عنه المُطرب للثَّعالبيِّ ص١٧، سمط اللآلي للبكريِّ ١/١٤٧، كتاب الصِّناعتيْن للعسكريِّ ص١٢٩، الأوائل له ص٣٢.

وذلك أنَّه لمَّا بدت له إرادة بارئه لتكوين الأشياء وتصريفها على مُقتضى مشيئته بقُدرته النَّافذة على سَنَن حكمته المُتقنة: محا ذلك عن العبد رُعونات بشريَّته، وغاب عن تدبيره بتدبير مولاه، وعن إرادته بإرادته، إلَّا ما أمره به شرعًا؛ لأنَّه مأمورٌ بإرادة ذلك، فلا إرادة له إلَّا بالله، ويفنى عنه غير ذلك؛ ويبقى فيه عند الفناء لطيفةٌ علميَّةٌ يترتَّب عليها الأمر والنَّهي.

وخُصوصيَّة هذه الصِّفة: رُوح الاستسلام؛ وطيب القلب بالرِّضا بالمقدور، ثُمَّ تجذبه إلى محبَّة الموصوف، فرُبَّما شغله عن ذلك آثار الصِّفة في حالة الجذبة، فإذا أفاق رجع إلى تربيته.

ومنهم من تنازله(١) **صفة القيُّوميَّة**(٢)، فيشهد القيُّوم سُبحانه قائمًا بكُلِّ شيءٍ، ويرى الأشياء لا تتحرَّك(٣) بأنفسها: ذوقًا وحالًا؛ لا نظرًا وعلمًا.

ففي الذَّائقين لهذا المشهد من يغلط؛ فيغيب بالأحكام القدريَّة عن الأحكام الشَّرعيَّة لظُهور القيُّوميَّة(٤) فيها، ولا يكون ذلك غالبًا إلَّا في فقيرٍ قليلِ الاعتناء بالأُمور الشَّرعيَّة، فمنهم من يَنْحَل(٥) إذا رأى الأشياء قيامها بالله؛ فيرى الأشياء المُحرَّمة والمُباحة كُلَّها مرضيَّة، لأنَّها صدرت من عينٍ واحدةٍ.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (ومنهم تنازله).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (القيموميَّة).
(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (يتحرَّك).
(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (القيموميَّة).
(٥) أي: يضعف.

والمُحقِّقون المُتقنون للعُلوم[1] الشَّرعيَّة وأعمالها لا يغيبون بأحد الذَّوقيْن عن الآخر، يشهدون أمر الله تعالى ـ وهُو ما شرع ـ: صفة قائمة بالله، قيُّوميَّة[2] الله تعالى وقُدرته السَّارية[3] في الأكوان: صفة قائمة بالله، فيجمعون بينهما ولا يغيبون بأحدهما عن الآخر، لأنَّ من غاب بالأمر عن القدر: رُبَّما وقع في الشِّرك.

وقد أدَّب الله تعالى نبيَّه ﷺ في قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ الآية[5].

ومن غاب بالقدر عن الأمر: تزندق واستحسن القبيح، ومن جمع بين الأمر والقدر: استقام توحيده وركب؛ ولذلك تَحْدُو[6] بهم[7] هذه الصِّفة إلى الموصوف ـ كما مرَّ أولًا ـ بمشيئة الله تعالى.

ولوازم المفصَّل أن يُعدِّد آثار تجلِّيات الصِّفات وأذواقها؛ وطبقات النَّاس فيها، وإلَّا أفضى[8] ذلك إلى إفشاء الأسرار.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (لعُلوم).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (قيمومة).
(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (السَّاري).
(٤) سُورة الأنعام: الآية ٣٥.
(٥) سُورة الشُّعراء: الآيتان ٣ ـ ٤، وفي النُّسخة الخطيَّة: (فلعلك). وختمت الآية فيها بقوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ﴾.
(٦) في النُّسخة الخطيَّة: (تحد).
(٧) أي: تَسُوقُهم.
(٨) في النسخة الخطيَّة: (وطبقات الناس فيها أمضى).

وفيما ذُكر تنبيهٌ بالقليل على الكثير؛ لتشتاق القُلوب إلى الحضرة بذلك إلى إفشاء الأسرار، فهذا ما حضر في النَّوع الثَّاني المُؤكَّد الذي به ظهرت[١] سلطنة الإيمان في القُلوب، وبالله التَّوفيق.

*** النَّوع الثَّالث: وهُو المقْصَد الأقصى من المحبَّة لخُصوص الخُصوص:**

وهذا نصيب الأفراد الصِّدِّيقين، أهل مشهد الفردانيَّة؛ وعظمة الوحدانيَّة، سُقوا بشراب الدَّيموميَّة، وأشرق عليهم الجلال الذَّاتيُّ والجمال الأحديُّ، وهذا المشهد هُو الجامع لجميع الأسماء والصِّفات، فهي محبَّةٌ خاصَّةٌ لخُصوصٍ من أهل القُرْب؛ وأفرادٍ من رُؤساء القوم، فهُم يرتقون من حُجب الأنوار والصِّفات المذكورة إلى حقائق الأشياء؛ فإنَّ كُلَّ اسمٍ أو صفةٍ من الصِّفات الفوقيَّة أو الذَّاتيَّة إذا ذاقها العارف: وجد لها جمالًا خاصًّا وجلالًا خاصًّا بحسب ما يذوقه ويبدو له. وأمَّا الجلال الذَّاتيُّ والجمال الأحديُّ ذَوْقُه رُتبةٌ خاصَّةٌ للخُصوص كما ذُكر.

فجميع ما ذُكر ـ وإن كان من أعلى المقامات وأسناها بالنِّسبة إلى هذا المشهد ـ: حُجبٌ نورانيَّةٌ، لأنَّها مشاهد قلبيَّةٌ، والقُلوب لا تتجاوز الصِّفات.

وأمَّا هؤلاء فلا يُمكن العبارة عن حقيقة أحوالهم إلَّا بتقريبٍ، فإنَّ القوم لمَّا اتَّصفوا أولًا بالتَّوبة ثُمَّ بالطَّاعة والمُحاسبة: ترقَّوا من تلك[٢]

---

(١) في النسخة الخطيَّة: (ظهر).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (ذلك).

الفكرة فوصلوا إلى محبَّة الآلاء والنَّعماء، ولاح لهم من تدبير الله ما هيَّج إليه أشواقهم، وحقَّقوا في هذا المقام الشُّكر والرِّضا، ثُمَّ ترقَّوا عنه بمعونة الله ومشيئته إلى أذواق الصِّفات، فشربوا منها كُؤوسًا هنيَّة زكت بها أعمالهم؛ وصفت أسرارهم، فاستعدُّوا بذلك الصَّفاء والتَّزكية للقُرْب الخاصِّ فاخْتُطِفُوا من نُفوسهم وقُلوبهم، لأنَّ نُفوسهم جمدت[1] على قُلوبهم؛ وقُلوبهم اضمحلَّت على أرواحهم، روحانيِّين تغلب عليهم صفة الرُّوح، ويُشبهون الملائكة من بعض الوُجوه لتَحَبُّس كشفهم السُّفليِّ بروحهم العُلويِّ، فصار الحُكم للرُّوح، والرُّوح ولّاجةٌ طيَّارةٌ تلج عالم الملكوت وتُكافح بصريح الغُيوب، قلمَّا تصفوا إلى هذه الغاية، طِيرَ بأرواحهم إلى مقاعد الصِّدق ومواطن القُرْب، فهاموا بمحبَّة الذَّات، وحظوا[2] بمشهد الفردانيَّة.

وهذا النَّوع من المحبَّة: هُو محبَّة السَّابقين المُقرَّبين، الذين جذبتهم العناية، وهذه الجذبة لا مدخل للكسب فيها، لأنَّها اصطناعٌ محضٌ؛ ومحبَّةٌ خاصَّةٌ، وهي التي فيها السَّكرات وفيها يكون الصَّحو ـ على لسان القوم[3] ـ، وفيها يكون كمال الكشف الرُّوحيِّ، وجميع ما ذُكر: غيبٌ يُشهد بالقُلوب أولًا، ثُمَّ بالأرواح ثانيًا.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (حمدت).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (وخطوا).

(٣) قال ابن قيِّم الجوزيَّة [في مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧]: «وهذا المعنى لم يُعبَّر عنه ـ في القُرآن ولا في السُّنة ولا العارفون من السَّلف ـ بالسُّكر أصلًا، وإنَّما ذلك من اصطلاح المُتأخِّرين، وهو بئس الاصطلاح، فإنَّ لفظ السُّكر والمُسكر من الألفاظ =

فأمَّا مشهد الحُسن بالعين الظَّاهرة: فهُو مُمتنعٌ في هذه الدَّار[1]، وموطنه الجنَّة في دار القرار، وهذا أنهى ما يجده المُحبُّون؛ وينتهي إليه العارفون.

ومن خواصِّ المُتحقِّقين بذلك: الخُروج من رقِّ الحالِّ للتَّمكين فيه، فيصير أحدهم بربِّه لا بحاله، بخلاف أهل الصِّفات: فإنَّهم مُقيَّدون بأحوالهم؛ تتصرَّف فيهم؛ ولا يتصرَّفون فيها، وهؤلاء تصرَّفوا في أحوالهم؛ تفرَّقوا في العُلوم والأعمال؛ وهُم مجموعون بربِّهم، وهُم أهل بسطٍ وتمكينٍ، والأوَّلون أهل جمعٍ وقبضيَّة.

وهذه دقيقةٌ من حال النُّبوَّة، فإنَّهم كانوا يُباشرون الأعمال الشَّاقَّة

= المذمومة شرعًا وعقلًا، وعامَّة ما يُستعمل في السُّكر المذموم الذي يمقته الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [سُورة النِّساء: الآية ٤٣]. وعبَّر به سُبحانه عن الهول الشَّديد الذي يحصل للنَّاس عند قيام السَّاعة، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [سُورة الحجِّ: الآية ٢]. ويُقال: فلانٌ أسكره حبُّ الدُّنيا، وكذلك يُستعمل في سُكر الهوى المذموم. فأين أطلق الله سُبحانه أو رسوله أو الصَّحابة أو أئمَّة الطَّريق المُتقدِّمون على هذا المعنى الشَّريف ـ الذي هو من أشرف أحوال مُحبِّيه وعابديه ـ: اسم السُّكر المُستعمل في سُكر الخمر وسُكر الفواحش؟! كما قال عن قوم لُوطٍ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سُورة الحجر: الآية ٧٢]. فوصف بالسُّكر أرباب الفواحش وأرباب الشَّراب المُسكر، فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات؛ ولا سيَّما في قسم الحقائق».

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ ما هُو مُمتنعٌ في هذه الدَّار).

المُفرِّقة وهُم مجموعون بربِّهم، يُؤثرون في الأشياء والنُّفوس، يغلبونها ولا تغلبهم، فهؤلاء سادات أهل الخُصوص، حظوا بأعلى المقامات في المحبَّة.

ولأبي يزيد[1] رضي الله عنه إشاراتٌ لطيفةٌ إلى هذا المقام، يفهم عنه من عرف أحوالهم رضي الله عنهم[2].

وقد قيل[3]:

من كان في ظُلم اللَّيالي ساريًا ... رصد النُّجوم وأوقد المِصباحا
حتَّى إذا ما البدر أرشد ضوؤه ... ترك النُّجوم وراقب الإصباحا
حتَّى إذا انجاب الظَّلام بأسره ... ورأى الصَّباح بأُفْقِه قد لاحا
ترك المسارجَ والكواكبَ كُلَّها ... والبدرَ وارتقب السَّنا الوضَّاحا

ونسأل الله الكريم أن يُوفِّقنا لمراضيه، ويرزقنا التَّقوى ظاهرًا وباطنًا، فالكون له وبه.

---

(١) هُو طيفور بن عيسى البسطاميُّ المُتوفَّى سنة إحدى وستِّين ومائتين.
(٢) قال الذَّهبيُّ [في سير أعلام النُّبلاء: ١٣/ ٨٨ ـ ٨٩]: «وله هكذا نُكتٌ مليحةٌ، وجاء عنه أشياء مُشكلةٌ لا مساغ لها؛ الشَّأن في ثُبوتها عنه». ثُمَّ نقل عن أبي عبد الرَّحمن مُحمَّد بن الحُسيْن السُّلميِّ قوله: (ويُحكى عنه في الشَّطح أشياء، منها ما لا يصحُّ، أو يكون مقولًا عليه، وكان يرجع إلى أحوالٍ سُنِّيَّةٍ».
(٣) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة [في كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء: ص٧٨] دون نسبتها لقائلها، وعزاها ابن ناصر الدِّين في [توضيح المُشتبه: ٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧] إلى المُؤلِّف: ابن شيخ الحزَّاميِّين، وفي النُّسخة الخطيَّة: (من كان في ظُلم اللَّيل ساريًا)، و(حتَّى إذا ما البدر أشرق ضوؤه).

آخر ما تيسَّر من شرح مقامات المحبَّة على الإيجاز والاختصار، والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم[١].

❑ ❑ ❑

---

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في القاهرة، في يوم الأربعاء ٢٧ ذوالحجَّة ١٤٣٢هـ؛ الموافق ٢٣ نُوفمبر (تشرين الثَّاني) ٢٠١١م.

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ
(٢٠٤)

مِيزَانُ الحَقِّ وَالضَّلَالِ فِي تَفْضِيلِ أَحْوَالِ النُّجَبَاءِ وَالأَبْدَالِ

تَأْلِيفُ
الإِمَامِ الزَّاهِدِ النَّاسِكِ وَالعَالِمِ العَابِدِ السَّالِكِ
عِمَادِ الدِّينِ أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الوَاسِطِيِّ
المعروف بابن شيخ الحزّاميين
(٦٥٧ - ٧١١هـ)
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خضعت لعظمته قُلوب الأولياء، وخشعت من مهابته أسرار الأصفياء، وانقادت إلى عُبوديَّته أعناق الأتقياء.

سُبحانه وتعالى وهُو المُتعزِّز بالوحدانيَّة والكِبْرياء، والمُتعالي بعظمته والصِّفات المُقدَّسة الواردة على ألسنة الأنبياء.

وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ربُّ السَّماوات والأرض وما بينهما من الأشياء.

وأشهد أنَّ مُحمَّدًا ﷺ عبده ورسوله سيِّد ولد آدم من الأموات والأحياء؛ صلَّى الله عليه وسلَّم صلاة دائمة تسمو بصاحبها إلى العلياء.

وبعد:

فإنَّ العُبوديَّة من أعلى مقامات الصَّادقين، والتَّواضع لعظمة الله من أسنى ملابس المُقرَّبين.

من ظهرت آثارهما عليه دلَّ ذلك على وُجدانه وعرفانه، ومن لم يتقمَّص بهما فقد أقرَّ بما يظهر عليه من الطَّبيعة ببعُده وهوانه.

فلا حال للعبد أشرف من ظُهوره بصفات العُبوديَّة؛ والتَّضاؤل بأحكام الرُّبوبيَّة.

من تعدَّى صفته إلى ما لا يستحقُّه من الصِّفات: أبان عن جهله وحُمقه، ومن وقف على ما تقتضيه حاله من صفاته وحُدوده: اتَّصف في عُبوديَّته وحقِّه.

وكيف لا؟ والعجز والضَّعف صفتاه، والفقر والذُّلُّ حالتاه، وقد اتَّصف ربُّه تعالى بأضدادها من الصِّفات من القُدرة والقُوَّة والغنى والعزَّة.

فمن أظهر إلى الله تعالى عجزه؛ وشكا إليه ضعفه؛ وتقمَّص ذُلَّه وكسره؛ وكأنَّه تسمَّى بأسمائه التي يستحقُّها؛ وتكنَّى بكُناه التي بها ظهر للخليقة رِقُّها، لأنَّهم مربوبون[١]؛ وبعزَّة الرُّبوبيَّة مقهورون.

فذلك سيماء من عرف نفسه فقَدّرَها قَدْرَها، وعرف ربَّه فقَدّرَه قَدْرَه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾[٢].

وقد جاء في بعض الأخبار: «**إنَّ الملائكة تقول يوم القيامة: سُبحانك؛ ما عبدناك حقَّ عبادتك**»[٣].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (مربون).

(٢) سُورة الأنعام: الآية ٩١، سُورة الزُّمر: الآية ٦٧.

(٣) أخرجه الحاكم في مُستدركه [كتاب الأهوال/ الحديث رقم (٨٧٣٩) ـ ٤/ ٦٢٩] عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه، ولفظه: «**يُوضع الميزان يوم القيامة؛ فلو وُزن فيه السَّماوات والأرض: لوسعت؛ فتقول الملائكة: يا ربِّ، لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئتُ من خلقي. فتقول الملائكة: سُبحانك؛ ما عبدناك حقَّ عبادتك. ويُوضع الصِّراط مثل حدِّ المُوسى، فتقول الملائكة: من تُجيز على هذا؟ فيقول: من شئتُ من خلقي. فتقول: سُبحانك؛ ما عبدناك حقَّ عبادتك**».

وقد جاء في بعض الآثار[1]: «إنَّ الله تعالى قال لداود عليه السَّلام: يا داود؛ اعرفني، واعرف نفسك. قال: قد عرفت نفسي بالعجز والضَّعف والفناء، وعرفتك بالقُدرة والقُوَّة والبقاء ـ أو كما قال ـ. قال: فقال الله تعالى: الآن عرفتني ـ أو نحو ذلك ـ»[2].

فعلى العبد أن يُلازم صفاته ويعرف نفسه بها ولا يتعدَّاها فيكون من الجاهلين، ورُبَّما أدَّاه ذلك إلى قلب الحقائق فيكُون من الفراعنة المُلحدين، عصمنا الله تعالى من ذلك وإيَّاكم أجمعين.

قد جاء في الحديث: «**أسألك إيمانًا يُباشر قلبي**»[3].

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في معنى من عرف نفسه).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه البزَّار في مُسنده [الحديث رقم (٥٣٨٥) ـ ١٢/ ١٨] عن عبد الله بن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، والطَّبرانيُّ في مُعجمه الأوسط [الحديث رقم (٥٩٧١) ـ ٦/ ٤٥٤] عن عائشة بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنهما.
ولفظ الطَّبرانيِّ: «**لما أهبط الله آدم إلى الأرض: قام وِجَاهَ الكعبة؛ فصلَّى ركعتيْن، فألهمه الله هذا الدُّعاء: اللَّهُمَّ إنَّك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سُؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي. اللَّهُمَّ إنِّي أسألك إيمانًا يُباشر قلبي، ويقينًا صادقًا حتَّى أعلم أنَّه لا يُصيبني إلَّا ما كتبت لي، ورضًا بما قسمت لي. فأوحى الله إليه: يا آدم؛ إنِّي قد قبلت توبتك، وغفرت لك ذنبك؛ ولن يَدْعُنِي أحدٌ بهذا الدُّعاء إلَّا غفرت له ذنبه، وكفيته المُهمَّ من أمره، وزجرت عنه الشَّيطان، واتَّجرت له من وراء كُلِّ تاجرٍ، وأقبلت إليه الدُّنيا راغمة وإن لم يُرِدْها**».
وقد أشار الطَّبرانيُّ إلى ضعفه بقوله: (لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عُروة إلَّا مُعاذ بن مُحمَّدٍ، تفرَّد به النَّضر بن طاهرٍ).

فعلامة من باشر الإيمان قلبه ـ وهُو عبارةٌ عن معرفته لربِّه سُبحانه وتعالى بأفعاله، أو بشيءٍ من أسمائه، أو بلوامِع من آثار أنوار صفاته، أو ببارقةٍ تلوح لقلبه من عظمة ذاته؛ هذه جُملة المعارف؛ وإن تعدَّدت أقسامها، وتنوَّعت درجاتها؛ جعلنا الله من المُحقَّقين بذلك، القائمين بأحكامها، آمين، يا ربَّ العالمين ـ: أن ينكسر بهذه[1] المعارف قلبُه لربِّه، ويذلَّ[2] سرُّه لما قام به من حُبِّه؛ فإنَّ المعرفة تقتضي المحبَّة في هذا الشَّأن، وإن كان لا يلزم منها المحبَّة في غيره من الأكوان؛ فقد يعرف الإنسان الشَّيء ولا يُحبُّه.

وأمَّا هذا الجناب: فلا يُتصوَّر أن يُعرف منه شيءٌ إلَّا وتقترن[3] به المحبَّة؛ وإن كان من الصِّفات القهريَّة، فإنَّ لها تعلُّقًا باطنًا بالصِّفات اللَّطيفة المُوجبة للمحبَّة.

فمن تحقَّق القلب بوجوده لشيءٍ من هذه المعارف: أعطاه ذلك ذُبولًا وانكسارًا وتعظيمًا ووقارًا، هذا إذا لاح للقلب تفصيله على ما ذُكر من الأفعال والأسماء والصِّفات؛ فإنَّ ذلك يقتضي في القُلوب الصَّافية، والأذهان الصَّقيلة الوافية: تعظيم المعروف؛ لإشراق معارفه في أنوار القُلوب، ويلوح في تلك الأنوار ما يستحقُّه العبد بمُقتضى تلك المعرفة من العُبوديَّة التي تُطالبه تلك المعرفة بها، فيُفرِّق في ذلك النُّور من بين صفات ربِّه وصفات نفسه؛ فيُعطي الرُّبوبيَّة حقَّها بحسب إمكانه، ويُعطي الرُّبوبيَّة والعُبوديَّة حقَّها بحسب ما قام له من بُرهانه، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[4].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (لهذه).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (وبذل).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (ويقترن).

(٤) سُورة النُّور: الآية ٤٠.

فصلٌ

إذا تأمَّل المُتأمِّل أسماء الله تعالى وصفاته ـ الواردة في التَّنزيل؛ وفيما أبان عنه الرَّسول ﷺ ـ: يجد كُلَّ اسمٍ وصفةٍ إلى معنى خاصٍّ قام بالرُّبوبيَّة.

واقتضت تلك[1] المعارفُ: ذوقًا خاصًّا يُعرف به المُسمَّى بذلك الاسم المُتَّصف بتلك الصِّفة.

فكان ذلك الاسم أو الصِّفة طاقةَ المعارف؛ يدخل منها إلى جميع المعارف، فيأخذ من كُلِّ اسمٍ أو صفةٍ بقسطٍ ما يلزم تلك الصِّفة أو الاسم من جميع الصِّفة والأسماء، وبقدر[2] ما يرتبط ممَّا عرفه من الأسماء والصِّفات؛ على حدٍّ يقسم الله له.

مثال ذلك: من عرف ربَّه تعالى بالاسم (العليم): لزم من العلم الحياة. أو عرفه بالتَّدبير؛ لزم من (التَّدبير): العلم والمشيئة والقُوَّة والحكمة والرِّزق والرَّحمة والقُدرة وأمثال ذلك. أو عرفه بصفة (الكلام): لزم منه الخبير العليم الحيُّ المُوعِد المَخُوف الجليل الجميل. أو عرفه بالاسم (المُنتقم): لزم منه القادر الحيُّ العليم الدَّيَّان، وأمثال ذلك.

وأيضًا فإنَّ المعروف بتلك الصِّفة أو الاسم؛ المعروف ببقيَّة

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (واقتضى ذلك).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (ويقدر).

(٣) أي: نفسه المُقدَّسة.

الصِّفات والأسماء ـ إذ كُلُّ اسمٍ يُسمِّي به الله تعالى[1]؛ أو صفةٍ اتَّصف بها ـ: بابٌ إلى معرفة الموصوف، وطريقٌ إلى محبَّة المعروف، ومِرْقَاةٌ إلى معرفة غيره من الأسماء والصِّفات؛ إمَّا بطريق اللُّزوم، أو بطريق الجَمْع الجامع للجميع.

فصلٌ

إذا عُلم ذلك؛ وأنَّ كُلَّ اسمٍ أو صفةٍ تقتضي معنى خاصًّا: قام بالرُّبوبيَّة كُلُّ معنى من مدلولات الأسماء والصِّفات غير الآخر، فذلك يقتضي كُلَّ اسمٍ وصفةٍ بمعناه الخاصِّ: عُبوديَّة خاصَّة من العبيد الذين عَرَفوا ربَّهم بذلك.

فمن عرف منهم ربَّه تعالى بشيءٍ من أسمائه أو صفاته أو أفعاله؛ فعلامةُ صحَّة معرفته وبُرهانُها: أن يعبد الله تعالى ـ الذي عرفه من ذلك الاسم الخاصِّ أو الصِّفة الخاصَّة ـ عُبوديَّة تُناسب مُقتضى السَّبب المُوجب للمعرفة.

مثال ذلك: الرَّبُّ سُبحانه وتعالى اتَّصف بالغنيِّ القادر العزيز القويِّ، فعلامة من عرفه بصفة الغنى: أن يقوم له قلبه بحقيقة الافتقار، فإنَّ صفة الغنى منه سُبحانه اقتضت منَّا أن نعبده بالافتقار إليه. وكذلك من عرف ربَّه سُبحانه بصفة القُدرة: اقتضت منَّا عُبوديَّة خاصَّة تُناسبها وهي صفة العجز. وكذلك صفة العزَّة: اقتضت منَّا أن نعبده بصفة الذُّلِّ لعزَّته والخُضوع لأحكامه. وكذلك صفة القُوَّة منه: اقتضت منَّا أن نعبده بصفة الضَّعف والاستعانة بالقويِّ لهذا الضَّعيف، وأمثال ذلك.

فصلٌ

قد تبيَّن فيما تقدَّم: أنَّ المعرفة الصَّحيحة تُوجب عُبوديَّة وخُضوعًا من كُلِّ عارفٍ صحَّت معرفته.

فبُرهان المعرفة: العُبوديَّة، وبُرهان المحبَّة: المذلَّة، فإنَّ كُلَّ مُحبٍّ ذليلٌ لمن أحبَّه، وهذا لا يكون إلَّا فيما تفصَّلت معرفته على التَّفاصيل الشَّرعيَّة، وشعر قلبه بوجه التَّفصيل.

ومتى شعر القلب بوجه التَّفصيل: صار للمعرفة هيمنةٌ على القلب، يُحكم عليه بالعُبوديَّة الخاصَّة بمُقتضى الأمر المعروف، فيعبد الله تعالى بتلك العُبوديَّة الخاصَّة في مُقابلة ما ظهر لقلبه من المعارف، ويشعر قلبه أيضًا بتلك العُبوديَّة، وأنَّه يُعامل الله تعالى بها.

ومن فتح الله تعالى عليه هذا الباب، وتحقَّق ودام له، واتَّصل بالعُبوديَّة سَيْره: كان بريئًا من رُعونات النَّفس في غالب الأمر وأكثره، محفوظًا من نزغات الشَّياطين؛ وحركات الجبابرة والمُتكبِّرين، بل يلوح عليه سِيمَاء العابدين، الذين يعبدون ربَّهم بجوارحِهم وقُلوبُهم في العالمين.

فإنَّ من خُصوصيَّة المعارف الصَّحيحة المُفصَّلة على التَّفاصيل الإسلاميَّة: أن تتصرَّف[1] في نفس العارف، فتُذَوِّبها وتُصفِّيها؛ وتُلطِّفها وتحميها، فتبقى حارَّة لطيفة؛ بعد أن كانت بحُكم الطَّبع باردة يابسة؛

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يتصرف).

فيلوح على شمائل العارف: مكارم الأخلاق؛ وظرافة الشِّيَم، والصَّفاء؛ حيث قد صار له ربٌّ في قلبه، يعرفه ويُحبُّه ويعبده ويألهه؛ فنفسه خاضعةٌ لسُلطانه، وقلبه مأسورٌ في قبضته، ورُوحه مغمورةٌ[1] في حضرته، وسرُّه مُمتَّعٌ بمُشاهدته.

ومن سكنت هذه الأحوال الشَّريفة في باطنه: بقيت نفسه أسيرة حقيرة مضبوطة عن صفات المُتجبِّرين، محفوفة بأنوار المُحبِّين، محفوظة عن مخروم الحركات، موزونة بالعدل في أغلب التَّصرُّفات؛ تلطَّفت غلظته، وتهذَّبت قسوته، واعتدل جوره، والتزم العدل في أُموره.

إن تحرَّك: تحرَّك عدلًا، وإن نطق: نطق حكمة وفضلًا، أو صمت: صمت فكرةً وحلمًا، أو نظر: نظر عبرةً وحقًّا، أو سمع: سمع إشارةً وحُكمًا؛ وذلك لأنَّ عقله تصرّف في نفسه تصرُّف المُؤدِّب لطفله، وعقله تأيَّد بربِّه، واتَّصل بنُور قُرْبه.

فالقلب منه في اتِّصاله بربِّه: مُتَّصلٌ بتهذيبه لنفسه؛ فهُو قائمٌ بربِّه على همِّه وعقله، وقائمٌ بهمِّه وقلبه على نفسه؛ وهذه هي الغاية لأهل الغاية، المُتوطِّنين مقامات أهل الولاية، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ الآية[2].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (مغمور).

(٢) سُورة المائدة: الآية ٥٤، سُورة الحديد: الآية ٢١، سُورة الجُمعة: الآية ٤.

فصلٌ

وهؤلاء قسمان[1]: قسمٌ أهل فناء، وقسمٌ آخر أهل تمكينٍ وبقاء[2].

فغالب ما يظهر على أهل الفناء من الانقباض والانفراد، ومُجانبة النَّاس، وإهمال بعض حُقوقهم ـ من البداية بالسَّلام؛ وإظهار التَّودُّد إلى أهل الإيمان، والإخلال ببعض جُزئيَّات المُتابعة؛ من إجابة الدَّعوة واتِّباع الجنائز ومُخالطة الخَلْق ـ: فما سببه إلَّا اجتماعهم على حالهم؛ وسياستهم أنفسهم بما يلزمهم من حُقوق معروفهم، فللحال على هؤلاء سلطنةٌ تقبضهم عن كثيرٍ من التَّفرُّقات.

وفيهم من يشهد بقلبه من سُوء الطَّويَّات وجرائم الآفات؛ فهرب بقلبه من تلك الظُّلمات، فإنَّ عنده ما يشغله عن غيره ولا يتَّسع للأغيار، ولا يقوى على مُقاومة الأشرار، وذلك لا يقدح في مقامه؛ وإن كان غيره أكمل منه لاتِّساعه.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: الأولياء على قسميْن).

(٢) الفناء الذي يُترجم عليه: هُو غاية التَّعلُّق ونهايته؛ فإنَّه انقطاع عمَّا سوى الرَّبِّ تعالى من كُلِّ وجهٍ. **والبقاء** الذي يُشير إليه القوم: هُو صفة العبد ومقامه، ولم يرد ـ في الكتاب ولا في السُّنَّة ولا في كلام الصَّحابة والتَّابعين ـ مدح هذا اللَّفظ ولا ذمُّه، ولا استعملوا لفظه في هذا المعنى المُشار إليه البتة، ولا ذكره مشايخ الطَّريق المُتقدِّمون، ولا جعلوه غاية ولا مقامًا، وقد كان القوم أحقَّ بكُلِّ كمالٍ؛ وأسبق إلى كُلِّ غايةٍ محمودةٍ. ونحن لا نُنكر هذا اللَّفظ مُطلقًا ولا نقبله مُطلقًا، ولا بُدَّ فيه من التَّفصيل، وبيان صحيحه من معلوله، ووسيلته من غايته. مُلخَّصٌ من كلام ابن قيِّم الجوزيَّة [في مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ٤/ ٣١٠ ـ ٣٤٠].

ومثل هذا لا ينشرح إلَّا لمُحبٍّ صادقٍ؛ تميل المحبَّة بقلبه إليه، فيشهد ذلك من باطنه؛ فيُوفِّيه حقَّ محبَّته بالإقبال عليه؛ والإصغاء إليه، وإن وجد هُناك استعدادًا نصحه؛ وإلَّا وفَّاه حقَّه وأمسك.

وهؤلاء لم يُكلَّفوا غير ذلك، ومتى تكلَّفوا ما لم يُكلَّفوا: تحمَّلوا ما لم يُطيقوا، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1].

والقسم الآخر: وهُم الأطبَّاء؛ أهل التَّمكين والولاية؛ والبقاء والدِّراية، أفناهم الله تعالى به؛ ثُمَّ أبقاهم فكانوا به، فهُم الأدلاء لخلقه عليه، والمُعالجون لهُم في إصلاح أمراضهم، وهؤلاء كُلِّفوا مُخالطة الخَلْق لقوَّتهم وتمكينهم، وهُم القائمون بجُزئيّات المُتابعة ـ جُملها وتفصيلها ـ، لتصرُّفهم في أحوالهم، يقومون بأعباء الخليقة ـ جُلِّها ودقِّها ـ، يسوسونهم ويصدُّونهم عن الباطل بسَوْط الشَّريعة وحُكمها، فهُم خُلفاء الرُّسل وأُمناؤهم[2]، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾[3].

---

(١) سُورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (فهُم خُلفاء الرُّسل وأُمناؤهم، فقد ظلمهم وجهل استعدادهم، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ﴾).
ولعلَّ المعنى المُتبادر إلى الذِّهن؛ من سياق المبنى الوارد في المتن: (فمن ظنَّ أنَّهم متى كُلِّفوا؛ فقد تحمَّلوا ما لم يُطيقوا: فقد ظلمهم وجهل استعدادهم).

(٣) سُورة المائدة: الآية ٤٨.

فصلٌ

قد تبيَّن أحوال أهل الحقِّ ذوي المشارب؛ وما هي وظيفتهم[1]، فأمَّا الآفات الدَّاخلة على العباد أهل الأذواق المُجملة ـ الذين لا بصيرة لهُم في دينهم؛ ولا معرفة لهم بأحوالهم؛ ولا ميزان لهم يزنون بها حركاتهم وسكناتهم ـ: فهُم في حيرةٍ يعمهون، وخبطٍ[2] يتعثَّرون، فهي أكثر أن تُحصى، لكن نذكر منها ما يكون تبصرة واعتبارًا؛ يُستدلُّ بها على غيرها من الآفات، وبالله المُستعان.

فمنهم: من يكون طريقه العبادة؛ فيُنازله أحيانًا في عبادته شيءٌ[3] من آثار العظمة الإلهيَّة ـ مُجملًا غير مُفصَّلٍ ـ على تفاصيل الأسماء والصِّفات، ويتَّفق أن يكون بليدًا لا فطنة له، غليظًا لا لطافة له؛ قِوَى[4] النَّفس والطَّبيعة: لها التَّصرُّف فيه على عقله وقلبه، فيُصبغ[5] قلبُه بذلك الأثر؛ فيغيب عن صفات نفسه وشُؤونها، وتسلب النَّفس ذلك الأثر فتجعله لها، فيظهر هُو في مظهر الجبروت والعظمة، وتلوح[6] عليه أمارات الكِبْرياء والرِّئاسة؛ فيمشي بين العالَم بنفسٍ كبيرة[7]، وصولةٍ

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وما هُو وظيفة).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (وحبط).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (شيئًا).

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (قوي).

(٥) في النُّسخة الخطيَّة: (فيصبع).

(٦) في النُّسخة الخطيَّة: (ويلوح).

(٧) في النُّسخة الخطيَّة: (كبير).

جسيمة؛ فيتردَّى برداء الكِبْرياء والتِّيه[1]، ويتسلَّط على أشكاله بالغلظة مع ما هُو فيه؛ فيأمرهم وينهاهم[2]، والنَّخوة في رأسه، والقسوة في قلبه، والشَّرُّ في أحداقه وتحديقه. يُريد الخير، فيقع في الشَّرِّ؛ ويقصد العدل، فيهبط[3] في الجور والظُّلم؛ هواه قائده، لا عقل له، كأنَّه ثُعبان يُرديه في آبار المهالك والمعاطب، حسودٌ لا يفطن لحسده، يتكبَّر لا يشعر بكِبْره، أعمى بقلبه وبصيرته، لا ريب قد اتَّصف بصفات غيره من الكِبْر والعُلُوِّ، وقد جاء في الحديث عن الله تعالى: «**العظمة إزاري، والكِبْرياء ردائي؛ فمن نازعني أحدهما: أدخلته ناري**»[4].

فمثل هذا أصحابه معه في جهدٍ جهيدٍ؛ وعناءٍ شديدٍ، ينزل على رُؤوسهم من أعلى المقامات؛ ويروم أن يتصرَّف فيهم فتكون[5] إليه الإشارة في جميع الحالات، كُلَّما امتلأ حالًا: امتلأ كِبْرًا، وكُلَّما ازداد قُوَّةً: ازداد شرًّا.

---

(١) أي: الصَّلَف والكِبْر.
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (وينهيهم).
(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (فيهبطه).
(٤) أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (٩٣٥٩) ـ ١٥/ ٢١١]، وأبو داود في سُننه [كتاب اللِّباس/ باب ما جاء في الكِبْر ـ الحديث رقم (٤٠٩٠) ـ ص٦١١]، وابن ماجه في سُننه [كتاب الزُّهد/ باب البراءة من الكِبْر والتَّواضع ـ الحديث رقم (٤١٧٤) ـ ص٦٩٤] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظ أبي داود: «**قال الله عزَّ وجلَّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري؛ فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النَّار**».
(٥) في النُّسخة الخطيَّة: (فيكون).

وأهلُ اللهِ الصَّفوةُ[1]: على عكس ذلك، كُلَّما امتلؤوا حالًا: اكتسوا تواضعًا، وكُلَّما ازدادوا قُوَّة: ازدادوا شُكرًا.

فانظر رحمك الله إلى صاحب الحال المُفصَّل ونُوره، وكونه شَعَرَ قلبُه بحاله، وشَعَرَ أيضًا بعُبوديَّته المُناسبة لما ظهر في قلبه؛ فعرف ربَّه فقام بحقِّه، وعرف نفسه فأنزلها من صفات المخلوقين، فعين قلبه ناظرةٌ إلى ربِّه خاضعةٌ، تظهر عليه كسرة الخُضوع وذلَّة العُبوديَّة؛ وإن كان عزيزًا في نفسه مهيبًا من بين أبناء جنسه.

وانظر رحمك الله إلى صاحب الحال المُجمل؛ وقلَّة نصيبه من شُعوره بربِّه وجهله بصفته، وجهله أيضًا بنفسه وصفاتها، وما يجب عليها في المعرفة من قيامها في عُبوديَّته، وبكونه اتَّصف بما ظهر لقلبه من العظمة والجبروت؛ فظهر بما لا يملكه، ففاض عليه من الأخلاق المُلائمة لجهله: من الصَّولة والنَّخوة والكِبْر والطَّيش.

فلولا الحلم من الله الكريم؛ والإمهال لهذا العبد الجاهل العديم: لخسفت به الأرض؛ كما خُسف بقارون حين ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾، وخرج على قومه في أثواب زينته؛ ولم يخرج في أثواب ذلَّته وتواضعه، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[2]. عُوقب بنقيض قصده؛ طلب العُلُوَّ، فهوى به طلبه إلى تُخوم

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في أهل الله تعالى).

(٢) سُورة القصص: الآيات ٧٨ ـ ٨١.

الأرضين؛ ولذلك جاء في الحديث: «**بينا رجلٌ يمشي؛ إذ أُعجب بنفسه في حُلَّته فتبختر فيها، فخُسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»[1]، أو نحو هذا الكلام.

فنسأل الله العظيم: أن يكسونا أثواب العُبوديَّة؛ والتَّعظيم لمالك البريَّة، ويُوفِّقنا على ذُلِّ نُفوسنا، وعزَّة ديننا ومعبودنا؛ إنَّه أرحم الرَّاحمين، وأكرم الأكرمين.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه؛ وسلَّم تسليمًا كثيرًا[2].



---

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب أحاديث الأنبياء/ باب (٥٣) ـ الحديث رقم (٣٤٨٥) ـ ٢/ ١٠٨٣] عن عبد الله بن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب اللِّباس والزِّينة/ باب تحريم التَّبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ـ الحديث رقم (٢٠٨٨) ـ ٣/ ١٦٥٣ ـ ١٦٥٤] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظ مُسلم: «**بينما رجلٌ يتبختر يمشي في بُرديه، قد أعجبته نفسه؛ فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**».

(٢) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (بلغ مُقابلة).
قُلتُ: كان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في بيروت، في يوم الأحد ١٥ من شهر الله المُحرَّم ١٤٣٣هـ؛ الموافق ١١ ديسمبر (كانون الأوَّل) ٢٠١١م.

لِقَاءُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ
بالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٢٠٥)



ميزان الشيوخ

تأليف
الإمامِ الزاهِدِ النّاسِكِ والعالِمِ العابِدِ السّالِكِ
عِمادِ الدِّينِ أبي العبّاسِ أحمد بن إبراهيم الواسِطيّ
المعروف بابن شيخ الحزّاميين
(٦٥٧ - ٧١١هـ)
رحِمهُ الله تعالى

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المَلِك الحقِّ المُبين؛ باسط الرِّزق ذي القُوَّة المتين، مُنزِّل الوحي على المُرسلين، باعثهم إلى الكافَّة ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾[1].

وقد أوضح طريق مراضيه ومساخطه بالتَّبيين، وفرَّق بكتابه وسُنَّة رسوله ﷺ بين الضَّلال المَشِين المُردي في طبقات سجِّينٍ، وبين الهُدى المُرقي إلى درجات الفردوس في علِّيين.

وبعث مُحمَّدًا ﷺ بالحُجَّة البالغة والدَّلالة الواضحة وجعله بشيرًا ونذيرًا، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2].

فتح الله عزَّ وجلَّ ببعثته عُيونًا عُميًا، وآذانًا صُمًّا، وقُلوبًا غُلفًا؛ فتلقَّحت بنُوره العُقول، واستقامت به الأعمال في طريق الوُصول، واكتسبت الفطر من شمائله كرائم الأخلاق؛ فكان لها نهاية السُّلوك، وانجذبت الأرواح بالمحبَّة إلى فاطرها العليِّ؛ فارتفعت إلى قُرْبه صاعدة[3]

---

(١) سُورة النِّساء: الآية ١٦٥.

(٢) سُورة الأحزاب: الآية ٤٦.

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (صاعدًا).

من السُّفول، راقية من دركات الإبعاد ومهاوي الأضداد والنُّزول، فكمَّل الأُمَّةَ نبيُّها ﷺ غاية المأمول.

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وخصَّه بالمقام المحمود، وقَدَم الصِّدق الثَّابت الذي لا يتزلزل ولا يزول، ورزقنا اتِّباعه وسُلوك نهجه المُضيء الذي لا ضلالة فيه ولا لإضاءته أُفول.

وبعد:

فهذه نصيحةٌ كتبتها إلى إخواني المُؤمنين في الآفاق، جعلنا الله وإيَّاهُم في حضرة قُدسه يوم التَّلاق، وذلك لما كان في النَّصيحة لله والتَّواصي بالحقِّ والتَّواصي بالصَّبر من المندوب، الذي لا يسع المُؤمن تركه ولا الإعراض عنه؛ خُصوصًا في هذه الأزمنة المُتباعدة عن زمن الرَّسول ﷺ، فلها اليوم سبعمائة سنةٍ وكُسورٌ؛ فحدثت في هذه المُدَّة الطَّويلة الأحداث، وكثرت البدع وتشرَّبتها النُّفوس، فقذفت بمقدار ما تشرَّبته من البدع المنكورة سُننًا معروفة، فصار الإسلام غريبًا، وأهله غُرباء؛ كما أخبر به رسول الله ﷺ[1].

وقد رحم الله الأُمَّة بأن أقام لها في كُلِّ قرنٍ أعلامًا يكونون لدينه أنصارًا[2]؛ فيُنبِّهون النَّاس على الأحداث النَّاشئة والبدع الكائنة؛

---

(١) أخرج مُسلمٌ في صحيحه [كتاب الإيمان/ باب بيان أنَّ الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وأنَّه يأرز بين المسجدَيْن ـ الحديث رقم (١٤٥) ـ ١/ ١٣٠] عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا؛ فطُوبى للغُرباء**».

(٢) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في كُلِّ قرنٍ أعلامٌ).

يتلو بعضهم بعضًا، يُصلحون ما أفسد النَّاس من سُننٍ، وفي الحديث: «**من أحيا سُنَّة أُميتت: فقد أحياني، ومن أحياني: كان معي في الجنَّة**»(١).

فصلٌ

إنَّما يقتدي العامَّة برُؤسائها وأشرافها ومشايخها؛ فعليهم وزر ما ابتدعوا؛ ولهم أجر ما تبعوا لذلك إلى يوم القيامة، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «**من سنَّ سُنَّة حسنة: فله أجرها؛ وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن ابتدع بدعة لا يرضاها: كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»(٢).

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ في سُننه [كتاب العلم/ باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدع ـ الحديث رقم (٢٦٧٨) ـ ص٦٠٣] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، ولفظه: (قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بُنيَّ، إن قدرت أن تُصبح وتُمسي ليس في قلبك غشّ لأحدٍ: فافعل**». ثُمَّ قال لي: «**يا بُنيَّ، وذلك من سُنَّتي؛ ومن أحيا سُنَّتي: فقد أحبَّني، ومن أحبَّني: كان معي في الجنَّة**»). والحديث ضعيفٌ، وقد أشار التِّرمذيُّ إلى ذلك بقوله: (هذا حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه).

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ في سُننه [كتاب العلم/ باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدع ـ الحديث رقم (٢٦٧٧) ـ ص٦٠٣]، وابن ماجه في سُننه [أبواب السُّنَّة/ باب من أحيا سُنَّة قد أُميتت ـ الحديث رقم (٢٠٩) ـ ص٥٤] عن عمرو بن عوفٍ المُزنيِّ رضي الله عنه، ولفظ ابن ماجه: «**من أحيا سُنَّة من سُنَّتي؛ فعمل بها النَّاس: كان له مثل أجر من عمل بها، لا ينقص من أُجورهم شيئًا. ومن ابتدع بدعة؛ فعُمِلَ بها: كان عليه أوزار من عمل بها**، =

وعنه ﷺ قال: «**ما من قتيلٍ يُقتل: إلَّا وعلى ابن آدم الأوَّل كفلٌ من دمها؛ فإنَّه أوَّل من سنَّ القتل**»[1]. يعني به: قابيل الذي قتل هابيل.

وكتب[2] رسول الله ﷺ إلى هرقل: «**فإنْ[3] تولَّيت: فعليك إثم الأريسيِّين**»[4].

= **لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئًا**). قال ابن الجوزيِّ [في العلل المُتناهية: كتاب السُّنَّة وذمِّ البدع/ باب إحياء السُّنَّة عند ظُهور البدع ـ الحديث رقم (٢٠٦) ـ ١/ ١٣٥]: (هذا حديثٌ لا يصحُّ).

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب أحاديث الأنبياء/ باب خلق آدم وذُرِّيَّته ـ الحديث رقم (٣٣٣٥) ـ ٥/ ١٠٢٥]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب القسامة/ باب بيان إثم من سنَّ القتل ـ الحديث رقم (٤٤٧٣) ـ ٣/ ١٣٠٣ ـ ١٣٠٤] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، ولفظ البُخاريِّ: (**لا تُقتل نفسٌ ظُلمًا: إلَّا كان على ابن آدم الأوَّل كفلٌ من دمها، لأنَّه أوَّل من سنَّ القتل**).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (فكتب).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (وإن).

(٤) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب بدء الوحي/ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ـ الحديث رقم (٧) ـ ١/ ٢٣ ـ ٢٦]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب الجهاد والسِّير/ باب كتاب النَّبيِّ ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ـ الحديث رقم (١٧٧٣) ـ ٣/ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧] عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، ونصُّ كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ـ واللَّفظ للبُخاريِّ ـ: «**بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، من مُحمَّد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الرُّوم: سلامٌ على من اتَّبع الهُدى. أما بعد: فإنِّي أدعوك بدعاية الإسلام؛ أَسْلِم تَسْلَم؛ يُؤتك الله أجرك مرَّتين. فإنْ تولَّيْت: فإنَّ عليك إثم الأريسيِّين**، و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سُورة آل عمران: الآية ٦٤]».

والأريسيُّون: هُم الأتباع، والأَكَرَة[1].

يعني: إن تولَّيت عن الحقِّ: فإنّ عليك إثم من اتَّبعك في الضَّلالة؛ والتَّولي عن أمر الله تعالى.

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّيْنَ إِلَّا المُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوْءٍ وَرُهْبَانُهَا

يُروى هذا القصيدُ بكماله: عن عبد الله بن المُبارك رضي الله عنه[2].

فصلٌ

القادة في زماننا أصنافٌ: مُلُوكٌ؛ وأُمراء؛ ورُؤساء؛ وعُلماء؛ ومشايخ صُوفيَّة؛ ومشايخ فُقراء.

* **فالمُلوك والرُّؤساء والأُمراء**، وإن كانوا أُولي أمرٍ[3]: فأبصارهم طامحة إلى مشايخ العلم ومشايخ الزِّيِّ؛ فإلى مشايخ العلم يستندون في

---

(١) جمع: أكّار؛ أي: زرَّاع.

(٢) أخرجه أبو نُعيم الأصفهانيُّ في حلية الأولياء [٨/ ٢٧٩]، والبيهقيُّ في الجامع لشُعب الإيمان [رقم (٦٩١٨) ـ ١٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣]، وابن عبد البرِّ في جامع بيان العلم وفضله [رقم (٦٠٣) ـ ١/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨]، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق [٣٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨]، وتمام القصيد:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ ... وَيُتْبِعُهَا الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وَهَلْ بَدَّلَ الدِّينَ إِلَّا المُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وَبَاعُوا النُّفُوسَ فَلَمْ يَرْبَحُوا ... وَفِي البَيْعِ لَمْ تَغْلُ أَثْمَانُهَا

لَقَدْ وَقَعَ القَوْمُ فِي جِيفَةٍ ... يَبِينُ لِذِي العَقْلِ إِنْتَانُهَا

(٣) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في من أفسد النَّاس وأضلَّهم).

القضايا والأحكام، ومن مشايخ الزِّيِّ يستنشقون أرائج[1] المواجيد وحقائق الإيمان.

ثُمَّ إنَّ المُلوك والأُمراء والرُّؤساء: لمَّا انصرفت هممهم إلى جمع الحُطام؛ وقهْر الأنام، وشُرْب الخُمور؛ ومُعانقة المُنكر والمحظور، واستحلال المظالم والمُكوس؛ واقتناء المماليك للاستمتاع المُحرَّم: فقست لذلك القُلوب؛ وأظلمت أرجاؤها، وانعكست فطرهم، فصار عندهم الحسن: ما استحسنته نُفوسهم واستطابته، والقبيح: ما قبح في نظرهم، فأعرضوا عن استحسان الشَّرع واستقباحه، اللَّهُمَّ إلَّا أشياء ظواهر؛ ينخرم الدِّين جُملة بتعاطيها وخرق سياجها، كاستباحة المحارم ظاهرًا، وخرق سياج الصَّوم والصَّلاة، فهذا لم يُمكنهم تركه؛ لأنَّه خُروجٌ إلى الكُفر بالأصالة.

فلَّما عميت قُلوبهم؛ وأظلمت أسرارهم: خفي عندهم تمييز الصَّادق من الكاذب؛ وكُلُّ من لبس عندهم هيئة العُلماء؛ ووجدوا عنده كلامًا ونهمة في المنطق: كان فقيهًا، وكُلُّ من تزيًّا عندهم بلُبس المُرقَّعة: كان صُوفيًّا أو فقيرًا.

فضلَّت العامَّة بهم ضلالًا مُبينًا لجهلهم بالصَّادقين، وعدم التَّمييز بينهم وبين الكاذبين.

---

(١) قال ابن سِيْدَه في [المُحكم والمُحيط الأعظم: ٧/ ٣٣٨]: (الأريج والأريجة: الرِّيح الطَّيِّبة، أنشد ابن الأعرابيِّ:

كَأَنَّ رِيحًا مِنْ خُزَامَى عَالِجِ ... أَوْ رِيحَ مِسْكٍ طَيِّبِ الأَرَائِجِ)

وفي النُّسخة الخطيَّة: (أرانيج).

فصلٌ

* **وأمَّا العُلماء**: فلمَّا اهتمُّوا أيضًا بحُبِّ الدُّنيا وجمع الحُطام، والتَّكالب على الرِّفعة والمناصب بين الأنام، وشدَّة الاهتمام بالتَّقرُّب إلى الأُمراء، والدُّخول معهم في أهوائهم، ويفتنونهم بآرائهم طلبًا للمنزلة عندهم: أظلمت أيضًا قُلوبهم، وعميت عن الرُّشد، فتصرَّف هواهم في عُلومهم فكدَّرها، وصارت عُلومهم الشّرعيَّة مشوبة بأكدار الهوى، ممزوجة ـ وإن كانت حقًّا ـ بأباطيل آرائهم ومحبوباتهم.

فلا يُنكرون المُنكر، إلَّا[1] ما قام لهم فيه مصلحةٌ دُنيويَّة: مِنْ كسر من عاندهم أو ناوأهم؛ فيكسرونهم بحُجَّة إقامة[2] الدِّين ويُظهرون مثالبهم، ولا يأمرون من المعروف إلَّا ما استجلبوا به رفقًا أوجب لهم به رئاسة وظُهورًا.

فمات الحقُّ: لظُهور رغبتهم، وظهر المُنكر: لإبقائهم على رئاستهم؛ فبَعَدُوا عن الله تعالى، وأُبْعِدُوا، وكانت زلّاتهم كالسَّفينة تَغْرَق وتُغْرِق، اللَّهُم إلَّا بقايا منهم: خاملون مُضطهدون مبغوضون؛ وقليلٌ ما هُم.

فضلَّ بهم العامَّة والمُلوك ـ وصاروا حُجَّة في العوائد الفاسدة، والأحكام الباطلة، والرَّغبة في الدُّنيا، والتَّهاون بأُمور الدِّين ـ؛ بِقَوْل النَّاس بأجمعهم: (إذا كان الفُقهاء يفعلوا أو يزِلُّوا: فاتَّخذوهم قُدوة).

ضلُّوا في أنفسهم؛ وضلُّوا عن سواء السَّبيل.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (ولا).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (بإقامة).

فصلٌ

* **وأمَّا مشايخ الزِّيِّ**: فلمَّا أعرضوا عن مجموع أمر الله تعالى، وطلبوا الدُّنيا، وطاب لهم أكلها: بما يُظهرون من الزِّيِّ والحال وحُسن السَّمت ومدِّ العُنق وحُبِّ الشُّهرة والقبول ومحبَّة الاستتباع والاتِّباع في الدُّنيا، ذاهبوا لهذه الأغراض المُلوكَ والأُمراءَ إبقاء على رئاستهم، وكرهوا أن يُصدِّعوهم، فصار سُكوتهم حُجَّة لظُلم الظَّالم.

وأمَّا أهل الانحراف من أهل الزِّيِّ الذين شأنهم استجلاب قُلوب الجُهَّال والبطلة والنِّساء والفلاحين بإظهار السَّماع والرَّقص؛ ودعوى أنَّهم أهل المحبَّة والمعرفة والاتِّصال بالله والتَّصوُّف: فاتَّخذوا هذه الدَّعوى سبيلًا إلى أكل أموال النَّاس بالباطل، والتَّمتُّع بنسائهم وصبيانهم بعقد المُؤاخاة والمُضاجعة معهم، فإنَّ أحدهم ـ على زعمهم ـ إنَّما يُضاجع أُخته أو أخاه، وذلك عندهم لا بأس به؛ إذا كان القلب نظيفًا.

يتقرَّبون إلى الأُمراء لنيل الدَّراهم والجاه عندهم، ويُزَوْكِرُون[1] بالصِّياح والشَّهق[2] عندهم.

والأُمراء مُنغمسون في الفواحش والمظالم، قد أظلمت قُلوبهم، وعميت عن الحقِّ أبصارهم، فصاروا لا يعرفون التَّمييز بين الحقِّ والباطل؛ ولا بين الصَّادق والكاذب، فيرون شيخًا معه جمعٌ كثيرٌ عليهم

---

(١) قال المَقَّري في [نفح الطِّيب: ٦/ ١٢]: (الزَّواكرة: لفظٌ يستعمله المغاربة، ومعناه عندهم: المُتلبِّس الذي يُظهر النُّسك والعبادة؛ ويُبطن الفسق والفساد. وعند الله تجتمع الخُصوم).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (والشَّهد).

المُرقَّعات، قد أحسنوا زِيَّهم؛ وتزيَّنوا للخَلْق باجتماعهم وعُكُوفهم على شيخهم يُعظِّمونه ويُقبِّلون يده، وكيف لا! وهُو دُكَّانهم، وسببٌ إلى نيل معاشهم.

بهذه الصُّورة: تقوم صُورتهم، إذ لولاها لماتوا جُوعًا؛ فهُو لهُم صنمٌ يرتقون به، والحادي صنمٌ آخر؛ على حسِّه يجتمع النَّاس ويُؤلَّف بينهم.

فالشَّيخ هُو محلُّ الوهم الذي يُوهمون به الخَلْق؛ وأنَّ هذا: هُوَ، وهُوَ، وهُوَ والحادي كطَبْل المُشَعْبِذ[1]؛ يجمع النَّاس على ذلك الوهم الفاسد؛ فينتج من اجتماعهم: ميل القلب إليهم ومحبَّتهم لهم، وصُنعة الطَّعام لاجتماعهم، ولا بُدَّ من أولادٍ حسانٍ؛ وزوجاتٍ وضيئاتٍ، فإذا مال الآباء إليهم: فبالضَّرورة يحنُّ الأولاد والأزواج إليهم، فيرتفون[2] بطعام الآباء، ويتمتَّعون بالأُخوَّة ـ وهُم الأولاد والأزواج ـ، فتبلغ نُفوسهم هواها وغرضها بهذه الصُّورة التي أقاموها، فضلُّوا بذلك؛ وأضلُّوا كثيرًا، وأظلمت قُلوبهم؛ والتبستهم صُورٌ شيطانيَّةٌ، يرى العارفون بشاعتها من وُجوههم؛ فما أبعدهم عن الله تعالى، وأبعدهم عن طريق رسول الله ﷺ.

فهؤلاء هُم الذين يأكلون أموال النَّاس بالباطل، ويصُّدون عن سبيل الله حقيقة. وهُم قُطَّاع الطَّريق؛ يقطعون طريق الحقِّ عن اتِّباع السُّنَّة والوُصول إلى الله تعالى.

---

(١) أي: المُشَعْوِذ.

(٢) قال الجوهريُّ في [الصِّحاح في اللُّغة: ٦/ ٢٣٦٠]: (المُرافاة: الاتِّفاق والالتحام. قال الشَّاعر:

وَلَمَّا أَنْ رأيتَ أبا رُوَيْمٍ ... يُرَافِيني ويكره أن يُلاما)

فما جاء الإسلامَ قومٌ أضرَّ منهم على أهله؛ إنَّما يعرف ضررهم على الإسلام: من يعرف الإسلام وطريقته، وما أصدق من قال[١]:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّيْنَ إِلَّا المُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوْءٍ وَرُهْبَانُهَا

فنسأل الله العظيم، الجبَّار القدير، العزيز الحكيم: أن يكشف هذه الظُّلمة عن وجه الإسلام، وأن يعفي آثارها، ويمحق منارها، وأن يكشفهم للخاصِّ والعامِّ؛ حتَّى ترميهم العُيون بالنَّظر الشَّرر والازدراء، ويقلاهم[٢] الخلق؛ فينالهم الذُّلُّ ـ عُقوبة الافتراء ـ؛ فيموتوا جُوعًا وعُريًّا وجفاء وذُلَّة، أو يرجعوا إلى طريق الحقِّ والصَّواب، ويتَّبعوا رسول الله ﷺ في المجيء والذَّهاب.

فصلٌ

سبب انحراف الأُمَّة وتشعُّبها[٣]: هُو أنَّه حدث في هذه القُرون بعد الرَّسول ﷺ؛ مشايخ صالحون؛ أُولو[٤] أحوالٍ، أُمِّيُّون لا يعرفون تفاصيل الشَّريعة فلم يعملوها، ولم يحملوا أصحابهم على تفاصيلها.

فصارت أفعال شيخ كُلِّ طائفةٍ: بها يقتدي أصحابه، وصار الشَّيخ هُو المتبوع في شمائله وأحواله وعاداته، وأعرضوا بذلك عن اتِّباع الرّسول ﷺ، والله تعالى يسألهم يوم القيامة: عن اتِّباع الرَّسول ﷺ؛ لا عن اتِّباع الشَّيخ، فلذلك افترقت الأُمَّة فرقًا؛ وصاروا بهذا الافتراق شِيَعًا.

---

(١) هُو عبد الله بن المُبارك.

(٢) أي: يُبغضهم.

(٣) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في سبب انحراف الأُمَّة وتشعُّبها).

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (أُولي).

فصلٌ

في ميزانٍ تُوزن به المشايخ
ليكون مُتَّبعهم على بصيرةٍ من أمره ونيَّته من حاله

اعلم أنَّ المشايخ في زماننا ثلاثةٌ: شيخ علمٍ؛ وهُو الفقيه، وشيخ سُلُوكٍ؛ وهُو الصُّوفيُّ، وشيخ عامَّة؛ وهُو شيخ الفُقَراء.

ولا بُدَّ لهم من ميزانٍ يُعرف به جادَّةُ طريقِ المُستقيمِ منهم والمُنحرف، ومن الذي يتعيَّن اتِّباعه منهم؛ والذي يجب اجتنابه والتَّباعد عنه منهم؟ وبالله التَّوفيق.

ونسأله أن يُرينا الحقَّ حقًّا؛ ويُعيننا على اتِّباعه، ويُرينا الباطل باطلًا؛ ويُعيننا على اجتنابه.

الفصل الأوّل
في بيان استقامة طريق شيخ العلم من انحرافه

العُلماء ورثة الأنبياء؛ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ، كذا جاء في الحديث[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مُسنده [الحديث رقم (٢١٧١٥) ـ ٣٦/ ٤٥ ـ ٤٦]، وأبو داود في سُننه [كتاب العلم/ باب الحثِّ على طلب العلم ـ الحديث رقم (٣٦٤١) ـ ص٥٥١ ـ ٥٥٢]، والتِّرمذيُّ في سُننه [كتاب العلم/ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ـ الحديث رقم (٢٦٨٢) ـ ص٦٠٤]، وابن ماجه في سُننه [أبواب السُّنَّة/ باب فضل العُلماء والحثِّ على طلب =

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾(١).

فالعلم الكامل: هُو اسمٌ يدخل تحته كُلُّ فضيلةٍ تتعلَّق بالدِّين الظَّاهر أو بالحال الباطن ـ علمًا وعملًا؛ وخُلُقًا وحالًا ـ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٢).

فقد نبَّه على أنَّ الخشية من الله تعالى ميزان العلم ـ أي: العلم به وبأمره ونهيه ـ.

فانقسم العُلماء ثلاثة أقسامٍ:

عالِمٌ بالله عزَّ وجلَّ؛ وعالِمٌ بدينه. وهُو العالم الكامل الجامع؛ الذي عِلْمُه وحَالُه: قُوتٌ ومادَّةٌ لكُلِّ مُؤمنٍ ومُسلمٍ وصدِّيقٍ، ومثالهم في الأُمَّة: كأبي بكرٍ وعُمر وبقيَّة العشرة وعُلماء الصَّحابة وفُقهائهم، أهل

= العلم ـ الحديث رقم (٢٢٣) ـ ص٥٦] عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، ولفظ أبي داود: (عن كثير بن قيسٍ قال: كُنتُ جالسًا مع أبي الدَّرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا الدَّرداء؛ إني جئتك من مدينة الرَّسول ﷺ لحديثٍ بلغني أنَّك تُحدِّثه عن رسول الله ﷺ؛ ما جئت لحاجةٍ. قال: فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا: سلك الله عزَّ وجلَّ به طريقًا من طُرق الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السَّماوات ومن في الأرض؛ والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد: كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العُلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا؛ ورَّثوا العلم، فمن أخذه: أخذ بحظٍ وافرٍ**»).

(١) سُورة الرُّوم: الآية ٥٦.

(٢) سُورة فاطر: الآية ٢٨.

العلم الشَّرعيِّ والعمل المُوفَّى[1] به والعلم اللَّدنِّي، جمعوا كُلَّ فضيلةٍ من علمٍ وعملٍ وخُلقٍ وحالٍ، رضي الله عنهم.

فهُم كانوا أعمق النَّاس عُلومًا؛ وأصحَّهم أعمالًا؛ وأكملهم أحوالًا، كانوا مُتَّبعين لأمر الله تعالى في الظَّاهر؛ مُجتنبين لنهيه، عالمين بأمره ونهيه، يُجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، يبذل أحدهم نفسه لله، يرى دماءه تسيل؛ وهُو إلى قُدَّامٍ يُقاتل على دين الله من خالف الله وكفر به، هذا عملهم.

وأمَّا علمهم وحالهم؛ فكان شيخهم ومُمِدُّهم من العلم والحال: رسول الله ﷺ، فهُو سيِّد العُلماء؛ وسيِّد العارفين.

وكان علم الصَّحابة من بحر علم الرَّسول ﷺ[2]، ورثوا الحال من صُحبته ونظره، وورثوا العلم من أقواله وأفعاله، فهُم سادات الأُمَّة، بهم نقتدي؛ وبهم نهتدي: أيُّها المُنصف.

فهل كانوا كشُيوخ الفُقراء في زماننا؟ كلا والله، بل لو رأوهم: لجاهدوهم وقاتلوهم على ما ابتدعوا في دين الله؛ ما لم يأذن به الله.

ولذلك جاء بعد الصَّحابة: سادات التَّابعين وعارفوهم وعُلماؤهم، كسعيد بن المُسيِّب، وأصحاب ابن مسعودٍ كعلقمة والأسود من أهل البصرة، والحسن البصريِّ؛ وغيرهم.

كان الحسن إمامًا في كُلِّ فنٍ، كان قومٌ يأخذون عنه العربيَّة؛ وقومٌ

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (والموفى).
(٢) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في أصحاب الرَّسول وتابعيهم).

يأخذون عنه التَّفسير؛ وقومٌ يأخذون عنه الأحكام[1] الفقهيَّة؛ وقومٌ يأخذون عنه أحوال القُلوب، فكان إذا اجتمع به أهل القُلوب: يخلو بهم؛ فلا يدع غيرهم يدخل معهم، فرأى يومًا في حلقته شيخًا من غيرهم، فقال: ما أجلسك عندنا يا لُكع؟ إنَّما جلسنا مع أصحابنا نتذاكر[2].

وكذلك كان في كُلِّ قرنٍ: ساداتٌ من العُلماء الكُمَّل؛ جمعوا العُلوم والأعمال، والأخلاق والأحوال؛ حتَّى كان في المائة الرَّابعة: شيخ الإسلام؛ وقُدوة الأنام؛ أبو إسماعيل عبد الله الأنصاريُّ الهرويُّ بهَرَاة ـ صاحب كتاب «منازل السَّائرين» ـ، كان إمامًا في السُّنَّة والتَّفسير؛ إمامًا في المواجيد والأحوال، رضي الله عنه.

ثُمَّ كان في المائة الخامسة: الشَّيخ الإمام عبد القادر الجيليُّ رضي الله عنه ببغداد، كان الفقيه يأخذ عنه مدد علمه، وكان العارف يأخذ عنه مدد عرفانه، فهؤلاء العُلماء الكُمَّل رضي الله عنهم.

الثَّاني: عالمٌ بأمر الله[3] تعالى؛ وليس عالـمًا بالله. وهُم الفُقهاء، يعرفون أمر الله ونهيه؛ ولم تتَّصل قُلوبهم بالله اتِّصال المحبَّة التَّامَّة بكمال الزُّهد في الدُّنيا والمناصب.

الثَّالث: عالِمٌ[4] بالله تعالى؛ وليس عالـمًا بأمره. وهُم العارفون

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (وقوم الأحكام).

(٢) انظر: قُوت القُلوب لأبي طالبٍ المكيِّ ١/ ٢٥٧.

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (بأمر بالله).

(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (عالـمًا).

الأُمِّيُّون، أحدهم له نصيبٌ من الله عزَّ وجلَّ في قلبه؛ ولا يعرف تفاصيل الأمر والنَّهي، فهُو صحيحٌ بشرط أن لا يخرج من معرفته إلى بدعةٍ لم يَسُنَّها رسول الله ﷺ.

فعلامة استقامة طريق شيخ العلم في زماننا: أن يكون عارفًا بكتاب الله عزَّ وجلَّ؛ عالمًا بسُنَّة رسوله ﷺ؛ عالمًا بفُروع الأحكام وردِّ الحوادث إلى الأُصول، يُقيم بُرهان ذلك إذا سُئل عند النَّازلة، فيَدُلُّ عليه من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ.

وأن يكون مع ذلك عاملًا بعلمه؛ لا يجري على ظاهره من الأقوال والأفعال ما يُخالف علمه، وأن يكون حريصًا على الأمر بالمعروف مُهتمًّا به: يُصبح مُهتمًّا بإقامة أمر الله ويُمسي به مُهتمًّا؛ حريصًا على النَّهي عن المُنكر لا يدع فيه مُمكنًا؛ يبذل فيه ما أمكنه من ماله وبجاهه، يتألَّف النَّاس بماله وخُلقه على طاعة الله ورسوله ﷺ.

وأن يكون زاهدًا في المناصب وفُضول الدُّنيا، تطلبه ولا يطلبها؛ وتأتيه ولا يأتيها.

وأن يكون مُجانبًا للدُّخول على المُلوك والأُمراء والظَّلمة، فلا يدخل عليهم لطلب مالٍ ولا جاهٍ، يدخل عليهم ليأمرهم بالحقِّ والعدل؛ ويُعلِّمهم أمر الله ونهيه، وينهاهم عن البغي والظُّلم والإثم والعُدوان، يدخل عليهم ليستضيئوا بعلمه ونُوره في ظُلمات حوادثهم، فهذا الدُّخول عليهم قد يكون واجبًا عليه تارة؛ وأُخرى مُستحبًّا، وأن لا يُداهنهم ولا يدخل معهم في أغراضهم الفاسدة، ولا يُفتيهم بما يأكلون أموال النَّاس بالباطل فيُقلِّدونه فيها؛ فيدخل معهم فيها بالتَّأويلات الفاسدة لينال من جاههم ومالهم؛ فيكون جسرًا لهم يعبرون على رقبته إلى النَّار.

وأن يكون من أهل الحديث والسُّنَّة، مُجانبًا للكلام والمنطق وأهله، عقيدته عقيدة أهل الحديث والأثر؛ لا عقيدة أهل الكلام والآراء الفاسدة.

وأن يكون ورعًا في منطقه؛ فلا يتكلَّم بما لا يعلمه، وإن سُئل عمَّا لا يعلم؟ يقول: الله أعلم.

ورعًا في مأكله وملبسه، يكون له معيشة يستغني بها عن النَّاس، لا يقبل الهديَّة من مُستفتٍ يستفتيه غرضه: أن يُفتيه في تحريم حلالٍ، أو تحليل حرامٍ على وفق غرضه.

وأن يكون أعفَّ النَّاس وأعقلهم، فمن قلَّ عقله لا يُؤمن في علمه من الخطأ وسُوء الرَّأي.

وأن يكون ظاهر المُروءة، له مع ربِّه في خلواته عباداتٌ وأورادٌ، يُعامله؛ تظهر[1] أنوار المُعاملة على وجهه، وتظهر[2] السَّكينة على منطقه وعلمه.

قليل الانبساط، ضحكه تبسُّمٌ.

مُستعملٌ الأخلاق: من الحلم، والصَّبر، والتَّواضع مع المُؤمنين.

مُستعملٌ للشِّدَّة والغلظة.

مُستعملٌ للمُصابرة والمُداراة مع من يرجو منه الانتفاع بعلمه وكلامه.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (يظهر).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (ويظهر).

راقد النَّفس؛ ساكن الهوى، فمن غلب عليه الهوى في علمه: لا يُؤمن أن ينتصر للباطل إذا حُوجج فيه؛ ويخذل الحقَّ إذا ظهر مع خصمه.

فمن اجتمعت فيه هذه الخصال من عُلماء زمانكم: فاغتنموه، وسَلُوه عن أمور دينكم، وقلِّدوه أحكام حوادثكم ونوازلكم.

واعلموا أنَّ مِثْلَ هذا العالِم يُسمَّى وارثًا، فإنَّه قد ورث الرَّسول ﷺ فيما قام به من العلم والعمل والخُلُق، فهُو نُور الأُمَّة؛ ومصباح العالَم، يُستضاء بنُوره؛ ويُهتدى بعلمه.

فصلٌ

ومتى رأيتم العالِم يعمل بخلاف ما يعلم[1]؛ فيُخالف عملُه علمَه؛ ويقول ما لا يفعل، أو يميل إلى الهوى في العلم، أو يُقلُّ الاكتراث بالسُّنَّة والنُّصوص؛ ويحتجُّ إلى الرَّأي والتَّقليد مع قُدرته على ذلك: فيُستدلُّ بأعماله بذلك على سُقوط منزلة النُّصوص من[2] قلبه، فيُستدلُّ بذلك على قلَّة دينه؛ أو سُوء عقيدته.

ومتى رأيتم العالم غير مُهتمٍّ بالأمر بالمعروف؛ غير مُكترثٍ بالنَّهي عن المُنكر، لا يُبالي إذا انتُهكت المحارم؛ ولا يتوجَّع قلبه لها؛ ولا يتأسَّف إذا عُصي الله في أرضه؛ ولا يغضب لله في مُخالفة أمره، ولا يحرص على الأمر بالمعروف؛ ويتألَّف النَّاس عليه بالمال والخُلق:

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في التَّحذير من عُلماء السُّوء).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (عن).

فاتَّهِمُوه في علمه ودينه، واسْتَدِلُّوا بذلك على قسوة قلبه؛ والطَّبع عليه، فما أشبه هذا بعُلماء اليهود، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(١).

الخطاب مع اليهود، وكذلك من عرف أمرًا وخالفه: أورثه ذلك القسوة، وبضدِّه؛ من عمل بما يعلم: أورثه ذلك الحكمة، والحُكْم(٢): ميراث خُشوع القلب وصلاحه.

وإذا رأيتم العالم راغبًا في فُضول الدُّنيا؛ مُنازعًا لأهل المناصب في مناصبهم، يأتي أبواب الظَّلمة لما يناله من ذلك أو يطمع فيه، إذا دخل مع الأُمراء يدخل معهم في أهوائهم؛ لا يُحسِّن الحَسَن عندهم، ولا يُقبِّح القبيح، ويأخذ معهم في الحكايات المُضحكات لبسطهم، ويأتي بالمُحاضرات والمُلح فيُمازحهم: فاتَّهِمُوه على علمه وعلى دينه؛ خُصوصًا إذا لم ينصر عندهم مظلومًا، ولا يعتني بقضاء حاجة مُضطرٍّ ملهوفٍ، فإنَّه من القاسية قُلوبهم؛ المُعرضين عن ربِّهم، قلبه بعيدٌ من الآخرة؛ متعلِّقٌ بالدُّنيا، علمه دُكَّانه، ويتأكَّل ويرتزق؛ ولا يُعامل الله بعلمه إلَّا قليلًا، يسكت عن الحقِّ خشية سُقوط منزلته، ويُمالئ على الباطل طلبًا للرِّفعة، فما أبعد هذا عن الله وعن طريقه، علمه حُجةٌ عليه.

---

(١) سُورة البقرة: الآية ٧٤.

(٢) قال الرَّاغب الأصفهانيُّ في [مُفردات ألفاظ القُرآن الكريم: ص٢٤٩]: (والحُكْم أعمُّ من الحكمة، فكُلُّ حكمةٍ حُكْمٌ، وليس كُلُّ حُكْمٍ حكمةً).

ومتى رأيتم العالم قليل الورع في كلامه، يتكلَّم مُجازفة؛ ويكذب أحيانًا، ويستعمل الهزل واللَّعب، ويذكر المُردان ويميل إليهم، أو رأيتموه قليل الورع في المأكل والمشرب؛ والمدخل والمخرج، لا يُبالي ما أكل ـ حلالًا كان أو حرامًا ـ: فاتَّهِمُوه على علمه وعلى دينه؛ ولا تُقلِّدوه أُموركم، واحذروه أن يسلبكم دينكم بتهوينه للأشياء الصَّعبة من الحرام والشُّبهات؛ يسرق بذلك عُقولكم فيستدرجكم من حيث لا تعلمون.

ومتى رأيتم العالم يقبل الهديَّة من المُستفتي؛ ويُفتيه على غرضه، ويدخل في التَّأويلات والشُّبهات؛ كمسألة الاستحلال[1]، ومسألة الرِّبا

---

(١) أخرج الطَّبرانيُّ [في مُسند الشَّاميِّين: الحديث رقم (١٣٦٩) ـ ٢/ ٢٩٣] عن أبي ثعلبة الخُشنيِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**أوَّل دينكم نُبوَّةٌ ورحمةٌ، ثُمَّ خلافةٌ ورحمةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ وجَبَرِيَّةٌ؛ يُستحلُّ فيها الحِرَ والحرير**».
قال ابن تيميَّة [في بيان الدَّليل على بُطلان التَّحليل: ص١٠٤] بعد أن أورد حديث أبي ثعلبة الخُشنيِّ رضي الله عنه: (يُريد استحلال الفُروج من الحرام، والحِر ـ بكسر الحاء المهملة؛ وتخفيف الرَّاء المُهملة ـ: هُو الفرج. ويُشبه هذا والله أعلم: أن يكون أراد بذلك ظُهور استحلال المُحلِّل؛ واستحلال خلع اليمين؛ ونحو ذلك مِمَّا يُوجب استحلال الفُروج المُحرَّمة، فإنَّ الأُمَّة لم يستحلَّ أحدٌ منهم الزِّنا الصَّريح، ولم يُرد بالاستحلال مُجرَّد الفعل؛ فإنَّ هذا لم يزل موجودًا في النَّاس، ثُمَّ لفظ الاستحلال إنَّما يُستعمل في الأصل: فيمن اعتقد الشيء حلالًا، والواقع كذلك؛ فإنَّ هذا المُلك العضوض الذي كان بعد المُلك والجَبَرِيَّة: قد كان في أواخر عصر التَّابعين، وفي تلك الأزمان صار في أوَّل الأمر من يُفتي بنكاح المُحلِّل ونحوه، ولم يكن قبل ذلك الزَّمان من يُفتي بذلك أصلًا).

والمُعاملة، ولا تجدونه مُتعفِّفًا في معيشته، ترونه طامعًا في أموال النَّاس، يُداخل القُضاة ليُولُّوه الولايات مع شرهه على الدُّنيا وقلَّة ورعه ومُبالاته بالحلال والحرام: فاتَّهِمُوه على علمه ودينه.

ومتى رأيتم عالمًا في عقله سخافةٌ؛ وفي نظره قُصورٌ، يضع الأشياء غالبًا في غير مواضعها: فاتَّهِمُوه على استنباطه وعلمه ورأيه؛ ولا تُقلِّدوه.

ومتى رأيتم العالم لا يُتمِّم صلاته المفروضة؛ ولا يطمئنُّ في رُكوعها وسُجودها، ولا يحضر مع قراءته فيها بالخُشوع والحُضور والتَّدبير والتَّرتيل: فاتَّهِمُوه بقساوة القلب؛ وبُعده عن الرَّبِّ عزَّ وجلَّ.

ومتى وجدتم العالم لا مُعاملة له مع ربِّه عزَّ وجلَّ ـ تظهر عليه بهجتها وأنوارها وسكينتها ـ من تلاوةٍ وصيامٍ وقيامٍ: فاعلموا أنَّه قليل النَّصيب من ثمرة العلم ـ إذ ثمرة العمل المُعاملة ـ، وقليل النَّصيب من المحبَّة والخشية، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[١].

ومتى رأيتم العالم هواه غالبٌ على عقله، ينتصر لنفسه في الباطل؛ ويخذل غيره في الحقِّ: فاتَّهِمُوه على علمه، ولا تُقلِّدوه حتَّى تظهر لكم الحُجَّة الصَّحيحة على فُتياه، وبالله التَّوفيق والمُستعان، وهُو أعلم.

---

(١) سُورة فاطر: الآية ٢٨.

فصلٌ

وأمَّا ميزان استقامة طريق شيخ السُّلوك[1]

فهُو أن يكون عالمًا بأمر الله ونهيه؛ ممَّا يلزمه علمه والعمل به؛ دُون علم النِّكاح والطَّلاق واللِّعان وغيره من الأحكام العامَّة.

فإن اتَّسع لذلك: كان أكمل لمرتبته، وأعلى لحاله؛ وأن يكون عاملًا بعلمه؛ واقفًا عند حُدوده، ليس للشَّريعة عليه مُطالبةٌ لا في ظاهره ولا في باطنه.

قد أَحْكَم شيئْن[2]؛ هُما رُكنا الطَّريق، وعليهما تُبتنى قواعدُه:

الأوَّل: التَّقوى.

والتَّقوى: هُو معنى عامٌّ في كُلِّ قولٍ وفعلٍ وخاطرٍ، قد أَحْكَم هذا الأُستاذ تقوى الله تعالى في لسانه؛ فلا يتكلَّم بما حرَّمه العلم أو كرهه، واتَّقى الله تعالى في عينيْه؛ فلا ينظر إلى ما حرَّمه العلم أو كرهه، واتَّقى الله تعالى في سمعه؛ فلا يسمع ما لا يُحبُّه الله ولا ما يكرهه، واتَّقى الله تعالى في بطنه؛ فلا يدخله من الطَّعام إلَّا ما أحلَّه العلم ويجتنب ما حرَّمه العلم أو كرهه، واتَّقى الله تعالى في يديه ورجليه؛ فلا ينقلهما ولا يُحرِّكهما إلَّا إلى ما يُحبُّ الله ويرضاه ولا ينقلهما إلى لهوٍ ولعبٍ وباطلٍ.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في شُروط شيخ السُّلوك).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (شيئان).

وفي الجملة: فلا يُحرِّك جوارحه إلَّا فيما يرجو ثواب الله عليه؛ وفيما يأمن فيه عقابه؛ بمُقتضى العلم وحده.

ثُمَّ يَصِلُ[1] تقواه من ظاهره إلى باطنه، فيتَّقي الله تعالى في الخطرات والوساوس والهمم والعزائم والقُصُود[2]؛ حتَّى يحرس قلبه من جميع ما حرَّمه الله وكرهه؛ كما حرس جوارحه، فإنَّ الخطرة من الشَّرِّ إذا أهملها صاحبها: صارت وَسْوَسَة، بمعنى: أنَّها تتردَّد وتتكرَّر، فإن حفظها قبل أن تصير وَسْواسًا: اندفعت وصلح القلب، وذهب أثرها عنه، وإن تُركت: صارت وَسْواسًا، فيصعب دفعها في حال الوَسْواس أكثر من صُعوبته في حال الخطرة، ثُمَّ إن دفعت الوَسْوَسَة: ذهب أثرها وصلح القلب وطهر من لَوْثِها، وإن تُركت صارت الوَسْوَسَة هَمّة؛ فيكون دفعها أصعب، فإن دُفعت الهَمَّة اندفعت؛ وإلَّا صارت عزمًا، فيكون دفع العزم أصعب وأصعب، فإن دُفع[3]، وإلَّا صار قصدًا، فيكون دفعه أصعب، فإنْ دُفع[4]، وإلَّا صار عملًا ظاهرًا بالجوارح، فيعصي العبد بذلك ربَّه.

فهذه قاعدةٌ عظيمة النَّفع، من عرفها وكابد نفسه فيها: استقام باطنه؛ واستقام ظاهره لاستقامة باطنه، فإنَّ القلب إذا صلح: صلح الجسد كُلُّه.

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (تصل).
(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (المقصود).
(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (أدفع).
(٤) في النُّسخة الخطيَّة: (أدفع).

وبهذا يعرف الإنسان كيف تنشأ المعاصي؟ فجميع المعاصي والطَّاعات هكذا تنشأ؛ مبدؤها[1] من الخواطر.

فلا يزال هذا الشَّيخ يتَّقي الله في ظاهره وباطنه حتَّى يملك ظاهره بالمُحاسبة؛ ويملك باطنه بالمُراقبة، فيصير القلب كالكوكب الدُّرِّيِّ في أُفق السَّماء؛ تتلألأ فيه الأنوار بمُشاهدة الأذكار.

ومتى لم يكن الشَّيخ بهذه المثابة: فلا[2] يصلح للمشيخة، لأنه يُريد أن يأخذ المُريد في هذه الطَّريقة؛ وهُو لم يُحكمها ولم يُحقِّق عملها، فكيف يقدر على أن يَسُوس المُريد فيها؟

الرُّكن الثَّاني من أركان الطَّريق: بعد تحقيق التَّقوى؛ يكون الشَّيخ المذكور قد حقَّق الزُّهد في الدُّنيا.

فتكون نفسه ساكنة غير مُتحرِّكةٍ إلى طلب الدُّنيا من مالها وجاهها، ففي النَّاس من يكون ساكنًا عن طلب المال؛ مُتحرِّكًا في طلب العُلوِّ والرِّفعة والاستتباع، يُحبُّ أن يطأ عقبَه النَّاسُ، وينكسر إذا لم ير وراءه أحدًا، فهذا طالب رئاسةٍ؛ وهي من أعلى مطالب الدُّنيا، فقد يبذل المال لطلب الرِّئاسة، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (مبدأ).

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (لا).

(٣) سُورة القصص: الآية ٨٣.

ومن لم يتحقَّق التَّقوى والزُّهد في فُضول الدُّنيا من مالها وجاهها: كيف يلج قلبه ملكوت السَّماء؟ وكيف يذوق الحُبَّ الخالص المُلهب للأرواح؟ هذا مُستحيلٌ.

ومن لم يلج قلبه ملكوت السَّماء؛ ومن لم يُكاشف بالمحبَّة الخالصة: كيف يصلح للمشيخة؛ وهُو يُريد أن يأخذ المُريدين في طريقها ولم يبلغها هُو؟

فصلٌ

ومن شرط شيخ السُّلوك:

أن يكون مُتعفِّفًا؛ غير طامعٍ في فُتوح النَّاس، وإن كان ذا سببٍ: كان أكمل بحاله.

وأن لا يقبل الفُتوح من كُلِّ أحدٍ؛ ولا يأكل طعام كُلِّ أحدٍ، ولا يأكل إلَّا طعام من يقصد الله تعالى بإنفاقه.

ولا يكون لما أنفقه في قلبه منزلة، بل يراه قليلًا، ويرى نفسه بإنفاقه قليلة حقيرة، ولا يرى بإنفاقه لنفسه منزلة وفضلًا على الفقير الذي أطعمه؛ ويرى الفضل لمن أكله، يشكره على أكله؛ ويعتذر إليه من تقليله وتهجُّمه[(١)].

والفقير لا يقبل؛ إلَّا لقلب هذا العبد الصَّالح، ويرى منَّة الله تعالى عليه؛ لسياقه هذا الرِّزق إليه، فكُلٌّ منهما قد يُثاب على إنفاقه وبذله، وهذا يُثاب على قبوله وتناوله، إذ كُلٌّ منهما له فيما عمله قصدٌ صالحٌ؛ وعملٌ صالحٌ.

---

(١) أي: تَقَوُّصُه وتَنَقُّصُه.

ولا يأكل الفقير طعام أهل النُّفوس الحارَّة؛ العاميَّة طباعهم، الثَّقيلة أنفاسهم، الذين يذكرون ما أنفقوا، ويمنُّون بلسان حالهم وإن لم يقولوا بألسنتهم؛ وإن كانوا عبادًا صُلحاء؛ فإنَّهم أهل نُفوسٍ تثقل نُفوسهم في طعامهم، فمثل طعام هؤلاء سُمٌّ يُضرُّ القُلوب ويُوهنها، بل رُبَّما كان أكل الشُّبه ممَّن عنده أهليَّةٌ ورياضةٌ أقلَّ ضررًا من الحلال؛ إذا كان الباذل له صاحب نفسٍ ثقيلةٍ، ولهذا قال أحمد بن حنبلٍ رضي الله عنه: (جوائز السُّلطان: أحبُّ إليَّ من صلة الإخوان)[1].

فقد تعارض في هذا: الشُّبه والمنَّة، فاختار الشُّبه لما له فيها من الحقِّ في بيت المال؛ على المنَّة التي تُضرُّ القُلوب وتُشغلها.

وهذا من دقائق عُلوم أهل الله وخاصَّته؛ والصَّفوة من عباده.

ومن شرط شيخ السُّلوك:

أن يكون قلبه مُتَّصلًا بالله تعالى؛ وأنفاسه محفوظة مع الله عزَّ وجلَّ، قد أشهده الله تعالى مشاهد الإلهيَّة؛ ومشاهد الرُّبوبيَّة؛ ومشاهد الجمع، وحقَّقه بمشهد الفردانيَّة، وعمّر وُجوده بأنواره، وصار له نصيبٌ من القُرْب الخاصِّ والمحبَّة الخاصَّة.

---

(١) قال ابن تيميَّة [في جواب سُؤالٍ عن أُجرة الحجَّام: هل هي حرامٌ؟ (رسالةٌ مُودعةٌ في مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة): ٣٠/ ١٩٣]: (قال أحمد: أُجرة التَّعليم خيرٌ من جوائز السُّلطان، وجوائز السُّلطان خيرٌ من صلة الإخوان)، وحكاه عنه تلميذه ابن مُفلح في [الفُروع: ٤/ ٣١٦].
وذكر ابن عبد البرِّ [في التَّمهيد: ٤/ ١١٦]؛ و[الاستذكار: ٢٧/ ٤٢٠]: عن سُفيان الثَّوريِّ قوله: (جوائز السُّلطان: أحبُّ إليَّ من صلة الإخوان، لأنَّهم لا يمنُّون؛ والإخوان يمنُّون).

وأوقفه الله تعالى على الفرق بين دقائق التَّوحيد ودقائق الاتِّحاد، وعرف المداخل والمخارج؛ والقوادح والقواطع؛ والنِّهايات والحقائق، والتهب باطنه بالمحبَّة الخاصَّة من أنوار الله المخزونة.

فإذا عرفه المُريد: أوقفه على مقامٍ مقامٍ؛ وسار به إلى موطنٍ موطنٍ، بشرط المُوافقة من المُريد؛ وحُسن الاعتقاد؛ وترك الاختيار؛ وحُسن الانقياد والاستسلام.

فيتخلَّص المُريد بصُحبته من حُجب النُّفوس الكثيفة؛ ثُمَّ من حُجبها اللَّطيفة؛ ثُمَّ من حُجب القُلوب وأنوارها، فيتخلَّص إلى فضاء الوُجدان؛ ومُباشرة الرُّوح صريح الفُتوح، و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1].

فصلٌ

وإذا رأيتم شيخ السُّلوك جاهلًا بأمر الله ونهيه[2]، لا فقه عنده فيما يخصُّه من دين الله، ولا يسأل العُلماء إذا نابته نائبةٌ، أو يكون عالمًا مُخالفًا لعلمه؛ مُفرِّطًا في عمله، لم يحكم أساسه على التَّقوى والزُّهد، يُحبُّ الدُّنيا والمال والمناصب، يُداهن العامَّة لحفظ منصبه، لا يأمرهم بمعروفٍ ولا ينهاهم عن مُنكرٍ، يتملَّقهم بالكلام والطَّعام ليُحبُّوه، يتقرَّب إلى أبناء الدُّنيا ويُكرمهم لينال فُتوحهم، يُجالس غير أبناء جنسه، أو تجري على لسانه الغيبة والنَّميمة والكذب والفُضول والهذيان والهزليَّات والمُضحكات، أو يتباهى بالنَّظر إلى الصُّور الملاح؛ ولا يُبالي

---

(١) سُورة الحديد: الآية ٢١، سُورة الجُمعة: الآية ٤.

(٢) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في الشَّيخ الباطل المُفسد).

بصُحبة الأحداث ومعاشرتهم، أو يحضر السَّماعات فيسمع المكروهات من الدُّفوف والشَّبابات[1]؛ أو يرقص على التَّصفيق والتَّوقيع[2] في هذه الاجتماعات، أو لا يُبالي بما يأكله من الشُّبهات: فمثل هذا يكون بعيدًا عن حفظ الخطرات؛ بين يدي قيُّوم السَّماوات وعالم الخفيَّات، ويكون محجوب القلب عن الأحوال والكرامات.

فإنَّ مَنْ خلَّط في الجوارح الظَّاهرة؛ وأهمل المُراعاة القلبيَّة الباطنة: كيف يتحقَّق بدعوى الحال؛ وعملُه قد أبان عمَّا به عن الصِّدق حال؟

ومن أين لمثل هذا الإحاطة بالمشاهد الرَّبَّانيَّة؟

وكيف يعرف هذا: الجمع والفرق؛ والسُّكر والصَّحو؛ والفناء والبقاء؛ والانفصال والاتِّصال[3]؟ وهُو في عُبوديَّة النَّفس الأمَّارة لم ينفصل عنها! ولم يُحْكِم سياسة الشَّرع عليها! ولم يُذْعِن قلبه للشَّرع ولا لأحكامه!

فمثل هذا يُتَّهم في سُلوكه، وصُحبته تُقسِّي القلب وتُفسد الوقت.

ونعوذ بالله ممَّن يكون ممقوتًا بدعوى الحال، فينقلب سواد وجهه إلى الآخرة في المآل.

---

(١) أي: التَّشبيب، وهُو ذكر أيَّام الشَّباب واللَّهو والغزل في ابتداء القصائد، سُمِّي بذلك: لما فيه من ذكر الشَّباب. ويُطلق التَّشبيب ويُراد به: ذكر التَّغزُّل بالنِّساء، وهو من تشبيب النَّار وتأريثها.

(٢) أي: الإيقاع، وهو ألحان الغناء، وهو أن يُوقع الألحان ويبينها تبيينًا.

(٣) قال ابن قيِّم الجوزيَّة [في مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ٤/٤٠٥]: (وبمثل هذه المُجملات: دخل على أصحاب السُّلوك والإرادة ما دخل).

فصلٌ

وأمَّا ميزان شيخ الفُقراء؛ وعلامة استقامته في طريقته

أن يكون فقيهًا فيما يخصُّه من أمر دينه، يعلم فرائض الوُضوء وسُننها؛ وفرائض الصَّلاة وسُننها؛ وأحكام الماء الطَّاهر والنَّجس؛ وغير ذلك ممَّا يخصُّه.

عالمًا بالواجبات والمندوبات والمُستحبَّات؛ عاملًا بأحكام علمه، مُتَّبعًا لسُنَّة رسول الله ﷺ في هديه وطريقته.

يأمر بالمعروف؛ وينهى عن المُنكر، يُحلُّ ما أحلَّه الله؛ ويُحرِّم ما حرَّمه؛ ويكره ما كرهه.

قد طالع كُتب الحديث؛ ومرَّ على الصِّحاح السِّتَّة[1] سماعًا، فاكتسب قلبه من المُرور عليها: التَّخلُّص من الكيفيَّة الجاهليَّة؛ والتَّكيُّف بالمُحمّديَّة، وأن يكون مُحبًّا لرسول الله ﷺ، يهتزُّ قلبه عند ذكره: أكثر ممَّا يهتزُّ عند ذكر شيخه.

يأمر بالمعروف وينهى عن المُنكر، يضرب أصحابه إذا اجتمعوا بالنِّساء الأجانب أو وَاخَوْهُنَّ؛ أو اتَّخذوا الصَّبيَّ أخًا وهُو الذي يُسمُّونه الحَوَار[2]، ويُعرِّفهم أنَّ الأُنس بالنِّساء الأجانب والصِّبيان: ليس من

---

(١) وُصفت بالصِّحاح السِّتَّة تغليبًا، وهي صحيح البُخاريِّ؛ وصحيح مُسلمٍ؛ وسُنن أبي داود؛ وجامع التِّرمذيِّ؛ وسُنن النَّسائيِّ؛ وسُنن ابن ماجه.

(٢) أي: الحَوَارِيِّ، وهُو الحميم الخاصُّ؛ والنَّاصح الخالص.
قُلتُ: كلمة (الحَوَار) هي لكلمة (الحُوْر): أقرب في اشتقاقها اللُّغويِّ؛ وألصق في معناها الشَّرعيِّ: منها لكلمة (الحواريِّ)، ومنه قول العرب: (ذهب فُلانٌ في الحَوَار والبَوار)، أي: الفساد والكساد.

طريقة الرَّحمن؛ إنَّما هُو من طريقة الشَّيطان، والسَّبب المُوجب لذلك: هيجان شهوة النِّكاح، ويُعرِّفهم أنَّ النَّظر إليهم: زنا العين، «**إنَّ العين لتزني، وإنَّ اليد لتزني، وإنَّ اللِّسان ليزني، والفرج يُصدِّق ذلك ويُكذِّبه**»[١].

والشَّيخ إذا كان مُتَّبعًا لله ولرسوله: يعلم ذلك، فيتَّبع قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[٢].

فإذا كان الشَّيخ مُخالفًا لله؛ ولا ينهى أصحابه عن مُخالفة الله عزَّ وجلَّ: كيف يكون اتِّباعه والاجتماع به؟

ومن شرط مشايخ الفُقراء:

أن يكون قد صحَّح التَّوبة في بدايته، وصحَّح مقام الورع ومقام الزُّهد ومقام المُحاسبة والرِّعاية، ودخل في ميدان الخوف والرَّجاء، فحينئذٍ يحقُّ له أن يدخل في مقام الفُقراء، فلا يصحُّ الفقر إلَّا لمن صحَّح هذه المقامات قبله، وهي عبارةٌ عن الفقر عمَّا سوى الله.

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الاستئذان/ باب زنا الجوارح دُون الفرج ـ الحديث رقم (٦٢٤٣) ـ ٤/ ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب القدر/ باب قُدِّر على ابن آدم حظُّه من الزِّنا وغيره ـ الحديث رقم (٢٦٥٧) ـ ٤/ ٢٠٤٦ ـ ٢٠٤٧]، ولفظ البُخاريِّ: (**عن ابن عبَّاسٍ قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللَّمم ممَّا قال أبو هُريرة عن النَّبيِّ ﷺ: إنَّ الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزِّنا؛ أدرك ذلك لا محالة، فزنا العيْن: النَّظر، وزنا اللِّسان: المنطق، والنَّفس تتمنَّى وتشتهي، والفرج يُصدِّق ذلك كُلَّه أو يُكذِّبه**).

(٢) سُورة النُّور: الآية ٣٠.

ثُمَّ يدخل بعدها إلى مقام الغنى بالله، وهُو مقام الشُّكر، ثُمَّ ينتقل إلى مقام التَّوكُّل فيُصحِّحه، ثُمَّ إلى مقام الرِّضا فيُصحِّحه، ثُمَّ إلى مقام المحبَّة والمكاشفة، فحينئذٍ تصحُّ له مشيخة الفقر، وأن يكون داعيًا إلى طريقة الفقر.

ومن شرط الشَّيخ:

أن يتشبَّه بأصحاب رسول الله ﷺ، ويجتهد هُو وأصحابه على اتِّباع طريقهم والعمل بعملهم[1].

والذي يتَّبع رسول الله ﷺ: لا يُعمل السَّماع ولا يرقص فيه، ولا يدع أصحابه ينزلون النَّار ولا يُمسكون الحيَّات؛ فإنَّ الصَّحابة كانوا أفضل النَّاس، وأعلم النَّاس، وأقرب النَّاس إلى الله، ورسوله سيِّد الأوَّلين والآخرين بين أظهرهم؛ وهُو معلِّمهم ومُؤدِّبهم، والوحي من عند الله مع جبريل ينزل عليهم، فهُم أفضل الخلق وسادات النَّاس؛ بلغكم معاشر العُقلاء: أنَّهم عملوا سماعًا؟!

أم قطُّ بلغكم أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق، أو عُمر بن الخطَّاب، أو عُثمان بن عفَّانٍ، أو عليَّ بن أبي طالبٍ: رقصوا في الطَّابق[2] أو داروا؟

أم هل بلغكم أنَّ بلالًا الحبشيَّ أو غيره: غنَّى لهم بالكفِّ أو الدُّفِّ؟

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: في أحوال الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين).

(٢) أي: الطِّبْق ـ بكسْر الطَّاء: وهُو الجماعة من النَّاس.

أم هل بلغكم: أنَّه كان فيهم مُوَلَّهون[1] مُكشِّفوا[2] الرُّؤوس لهم شَغَفٌ؟

أم هل بلغكم: أنَّهم كانوا يدورون من قريةٍ إلى قريةٍ بأكياس الحيَّات؛ ويتَّخذون الحَوَار؟

أم هل بلغكم: أنَّه كان لهم الشَّخْرَة والنُّخْرَة[3]؟

يا قوم: انتبهوا، يا قوم: اعقلوا، يا قوم: ارجعوا إلى الله.

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ ما اتَّبعتم!

وكذلك التَّابعين ما اتَّبعتم! لأنَّه قطُّ ما بلغنا أنَّهم كانوا يعملون من ذلك شيئًا، بل كان طريقهم: طريق الصَّحابة، وعملهم: عملهم.

وكذلك تابعي التَّابعين ما اتَّبعتم! لأنَّهم قطُّ ما بلغنا أنَّهم عملوا هذه الأشياء.

---

(١) أي: جَمْعُ مُوَلَّهٍ، وهُو من اشتدَّ وَجْدُه؛ فأصابه الحُزْن والجَزع.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (مُكشِّفين).

(٣) الشَّخير: رفع الصَّوت بالنَّخير، فالشَّخْرَة: صوت الفم، والنُّخْرَة: صوت الأنف.

أخرج أحمد في مُسنده [الحديث رقم (١٧٤٠) ـ ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٨] من حديث أُمِّ سلمة رضي الله عنها في نُزولهم أرض الحبشة، وقولها حكاية عن النَّجاشيِّ: **(ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر بن أبى طالبٍ: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا، هُو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النَّجاشيُّ يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا ثُمَّ قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قُلتَ هذا العود. فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال. فقال: وإن نخرتم).**

فليت شعري؛ لمن اتَّبعتم؟ أم بمن اقتديتم؟

لم يظهر بعد مُحمَّدٍ ﷺ نبيٌّ آخر جاء بشريعةٍ أُخرى، كان مُحمَّدٌ ﷺ خاتمَ النّبيِّين.

فليت شعري؛ من أين جاءت هذه الشَّريعة الرَّابعة[1]؟ ومن الذي أظهرها ودعا النَّاس إليها فأضلَّهم بها؟

يا شُؤم حالنا! يا فضيحتنا مع الله تعالى إن لم يتب علينا! يا سُوء حالنا إن لقينا الله تعالى ونحن مُصرُّون على هذه البدع! يا سواد وُجوهنا إن لقينا الله ونحن على هذا الحال.

ومن شرط شيخ الفُقراء: أن لا يدخل على الأُمراء أو الظَّلمة لينال صدقاتهم ومبرَّاتهم، ولا يأكل من طعامهم، فإنَّ الجسم إذا نبت من حرامٍ: فالنَّار أولى به.

وأن يأمر الفُقراء بكتمان الحال والوَجْد، وقد رأيتم من يصرخ في السَّماع؛ ويرقص ويضطرب، كأنَّه يقول للنَّاس: يا معاشر النَّاس؛ اعرفوني اعرفوني، فإنِّي وليُّ الله؛ وأنا صاحب حالٍ، أعطوني أعطوني، يا صبايا؛ يا صبيان: أنا رجلٌ صالحٌ، وَاخُونِي؛ وَاخُونِي، تقرَّبوا منِّي حتَّى أُعطيكم حالي؛ حتَّى ينالكم منِّي نصيبٌ.

معاشر العُقلاء: مثل هذا ينطلي!! إلَّا على أحمق قليل العقل! جاهلٍ بأمر الله تعالى ورسوله! بعيدٍ عن معرفة الإسلام وأهله! أعمى عن معرفة الصَّادقين؛ والتَّميز بينهم وبين الكاذبين!

---

(١) أي: هل جاءت شريعةٌ رابعةٌ؛ بعد الشَّرائع السَّماويَّة الثَّلاث: التَّوراة؛ والإنجيل؛ والقُرآن؟

بَعُدْنَا عن الله؛ وقلَّت عُقولنا؛ حتَّى صار مثل هؤلاء البُغضاء البُعداء إخوان الشَّياطين: يدخلون منازلنا؛ ويأكلون طعامنا؛ ويتمتَّعون بصبياننا ونسائنا؛ بحُجَّة سيِّدي فلان؛ وسيِّدي فلان؛ وسيِّدي فلان.

أما آن لنا أن تصحو عقولنا؛ وتنفتح عُيوننا؛ ونقف على زَوْكَرَة هؤلاء؛ ونعلم أنَّهم مُتأكِّلةٌ؟ يأكلون النَّاس، ويتفرَّخون[1] على نسائهم وصبيانهم.

حيرةً، يا سُبحان الله! قطُّ ما سمعنا طريقة السَّلف الصَّالحين الذين كانوا بعد الصَّحابة وبعد التَّابعين، مثل: الفُضيل بن عياضٍ، وإبراهيم بن أدهم، ووُهَيْب[2] بن الورد، ووهب بن مُنبِّهٍ، وحُذيفة المرعشيِّ، وسُفيان الثَّوريِّ، ومن جاء بعدهم مثل: ذي النُّون المصريِّ، وشقيقٍ البلخيِّ، وحاتمٍ الأصمِّ، وسهلٍ التَّستريِّ، ومعروفٍ الكرخيِّ، وسريٍّ السَّقطيِّ، وأبي القاسم الجُنيد، وغيرهم، وغيرهم، قطُّ[3] يا مُسلمون: عملوا هذه الأعمال؟! أم قطُّ اتَّصفوا بهذه الصِّفات؟!

كانوا قومًا مستورين[4]؛ صادقين مع ربِّهم، يُحقِّقون أعمالهم، ويخافون ربَّهم، ويغضُّون أبصارهم، ويستمعون إلى القُرآن؛ هُو سماعهم، شغلهم الصِّيام والقيام، والذِّكر على الدَّوام، والخوف المُحرق للأكباد؛ ينتظرون الآخرة والقُدوم على الله؛ قد تهيَّؤوا للموت والقبر والحساب والميزان والصِّراط؛ يخافون النَّار،

---

(١) أي: يتكشَّفون، وأصل الإفراخ: الانكشاف.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (وهب).

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (فقط).

(٤) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: مشايخ عظام).

ويرجون رحمة الله؛ مُتَّبعين رسول الله ﷺ؛ يقرؤون كتاب ربِّهم وسُنَّة نبيِّهم؛ مُشتغلين بالصِّدق مع مولاهم.

معاشر العُقلاء: أفلا تنتبهون وتستيقظون[1]؟! أفكان هؤلاء يُشبهون هؤلاء، أو قريبًا منهم؟! كلا.

والله، ثُمَّ والله؛ لقد ضلَّ هؤلاء الزَّواكرة ضلالًا بعيدًا؛ وتاهوا في تِيه الضَّلال والانحراف؛ بَعُدُوا عن الله، وعن أمره، وعن المُروءة؛ فيا ليتهم يأكلون الدُّنيا بالدِّين، بل يأكلونها بالمُحَال[2]، والزَّوكرة، يستخفُّون العامَّة والجُهَّال والنِّساء، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[3].

فعليكم معاشر العُقلاء: بمُجانبة هؤلاء، والبُعد عنهم، والمقت لهم؛ فإنَّهم ممقوتون؛ يمقتهم الله من فوق عرشه؛ لمُخالفتهم أمره وارتكابهم نهيه.

واعلموا أنَّ إيمانهم ليس بطائلٍ[4]؛ لغلبة النِّفاق على قُلوبهم.

أشهد بالله الذي لا إله إلَّا هو؛ لو رآهم رسول الله ﷺ، أو أبو بكرٍ وعُمر وعُثمان وعليٌّ، أو أُمراء الصَّحابة، أو أُمراء بني أُميَّة ـ وهُم على هذا الحال ـ: قومٌ مُكشَّفة رُؤوسهم، يزبدون ويشخرون، وينقرون الصَّلاة إذا صلُّوا، ويهربون من القُرآن إذا سمعوه، فإذا دخلوا في

---

(١) في النُّسخة الخطيَّة: (ويستيقظون).

(٢) أي: الباطل.

(٣) سُورة الزُّخرف: الآية ٥٤.

(٤) أي: ليس بنافعٍ.

السَّماع طَرِبُوا ورقصوا يومًا إلى اللَّيل، معهم أكياس الحيَّات، يُخرجون للنَّاس اللاذَن[1]، والزَّعفران، ويُوَاخُون النِّسوان والمُردان، ويأكلون الحرام، أيُّ شيءٍ جاءهم أكلوه، لا يقولون: هذا حلالٌ؛ ولا هذا حرامٌ، همَّتهم بُطونهم؛ أو مليح أو مليحة، يَخْنُقُون[2] عليهم؛ فهُم عبيد بُطونهم وفُروجهم، يرقصون ويأكلون ويُشاهدون وينامون؛ ويدَّعون أنَّهم أهل القطع والوصل والتَّصرُّف؛ وأنَّهم أولياء الله، كذبوا على الله؛ وابتدعوا في دين الله؛ ما لم يأذن به الله.

أشهد بالله؛ لو رأوهم على هذا الحال: لدعوهم إلى الله، فلو امتنعوا لجاهدوهم بالسِّيوف؛ لأنَّهم ظهروا[3] بشعارٍ مُحْدَثٍ مُبْتَدَعٍ لم ينزل من السَّماء على رسول الله ﷺ.

وفي بعض هذا الوصف كفايةٌ، ومن لم يكفه هذا من الكلام: لا ينفعه التَّطويل.

ومُصنِّف هذه الأحرف: أعرف النَّاس بهم، قال: كان أبوه من بعض شُيوخهم؛ ورُبِّي بينهم، ثُمَّ أنقذه الله تعالى بكرمه منهم إلى طريق الحقِّ والسُّنَّة، فهُو المحمود المشكور على ذلك.

---

(١) قال ابن منظورٍ [في لسان العرب: ١٣/ ٣٨٥]: (اللَّاذَنُ واللَّاذَنةُ: من العُلُوك. وقيل: هُو دواءٌ بالفارسيَّة. وقيل: هُو نَدىً يسقُط على الغنم في بعض جزائر البحر).

(٢) أي: يُضيِّقون.

(٣) في النُّسخة الخطيَّة: (طهروا).

فصلٌ

معاشر الإخوان:

اجتنبوا هذا الصِّنف من النَّاس، فإنَّهم دجَّالون كذَّابون.

وعليكم بصُحبة المشايخ والفُقراء أهل الطَّريقة، الذين يعرفون دين الله وطريقة رسوله ﷺ ومنهاج أولياء الله.

الذين يعرفون تفاصيل الأمر والنَّهي[1]؛ ويفهمون عن الله كلامه؛ ويستمعون إليه في أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وقصصه وأخباره؛ ويُكاشفون في القُرآن بمعنى الصِّفات المُقدَّسة من الهيبة والجلال والإكرام؛ والفضل والإنعام.

الذين يَدْعُون الخلق إلى محبَّة الله عزَّ وجلَّ والقُرْب منه، وإخلاص العمل له، والتَّوكُّل عليه، والتَّفويض إليه، واتِّباع السُّنَّة المُحمَّديَّة في الأقوال والأفعال والسُّنن والآداب.

تكتسبون بصُحبتهم: الخوف من الله عزَّ وجلَّ والرَّجاء، والمحبَّة له، والمحبَّة لدينه؛ فتمتلئ قُلوبكم من عظمة الله ومهابته والحياء منه والخشية له.

أُولئك المشايخ والفُقراء: هُم أولياء الله وحُجَّته على خلقه، وأُمناؤه بين عباده؛ يدعون إلى معرفته ومحبَّته والقُرْب منه؛ فتُفلحوا بصُحبتهم كُلَّ الفلاح إن شاء الله تعالى، وتتَّصل ظواهركم بسُنَّة رسوله ﷺ اتِّصالًا لا انفصال له، وهذا هُو حقيقة الفقر.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطيَّة: (مطلبٌ: نِعْم الوصيَّة؛ بشرح الوصيَّة).

إذا سألكم سائلٌ: ما الفقر؟

فقُولوا له: اتِّصال الظَّاهر بالسُّنَّة اتِّصالًا لا انفصال له، واتِّصال القلب بالله عزَّ وجلَّ اتِّصالًا لا انفصال له.

ونسأل الله الكريم أن لا يجعلنا ممَّن يُكذِّب عِلمُه عَملَه؛ ويُخالف قولُه فعلَه، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وأن يُوفِّقنا وإيَّاكم إلى المحجَّة البيضاء، إنَّه قيُّوم الأرض والسَّماء.

فصلٌ

ومن علامات صحَّة طريقة شيخ الفُقراء:

أن يكون خاشعًا في الصَّلاة الفريضة، يُكمل هُو وأصحابه الرُّكوع والسُّجود، ويَجِد هُو وأصحابه لذَّة الصَّلاة والتَّنعُّم بها.

وأن يجد لذَّة سماع القُرآن هُو وأصحابه.

وأن يُحبُّوا الفُقهاء ويُجالسوهم ويسألوهم عن أمور دينهم.

وأن يعتقدوا أنَّ الحقيقة يجب أن تكون مُوافقة الشَّريعة، وكُلُّ حقيقةٍ لا تُوافق[2] الشَّريعة: فهي زندقةٌ.

وكُلُّ من ادَّعى أنَّ الحقيقة شيءٌ والشَّريعة شيءٌ؛ وأنَّ صاحب الحقيقة قد صار حُرًّا ولا يحتاج إلى الشَّريعة ولا إلى العُبوديَّة: فهُو

(١) سُورة الصَّفِّ: الآية ٣.

(٢) في النُّسخة الخطيَّة: (يوافق).

زنديقٌ ضالٌّ مُضِلٌّ، يجب أن يُستتاب كما يُستتاب المُرتدُّ، فإن تاب وإلَّا ضُربت عُنقه.

وأن يكون الشَّيخ أورع النَّاس، وكُلُّ من ادَّعى أنَّ صاحب الحال لا يضرُّه الحرام: فهُو مُبتدعٌ ضالٌّ، فلا حال أكمل من حال الصِّدِّيق رضي الله عنه، شرب لبنًا ثُمَّ سأل عن أصله؟ فلم يرضه؛ فقام وتقيَّأه[1].

---

(١) أخرجه أبو نُعيم الأصبهانيُّ في مُعرفة الصَّحابة [معرفة سنِّه ومولده وعلَّته ووفاته وغسله ودفنه وكفنه ـ رقم (١١٣) ـ ١/ ٣٤] عن زيد بن أسلم: (**إنَّ أبا بكرٍ شرب لبنًا من الصَّدقة ـ ولم يعلم ـ، ثُمَّ أُخبر به: فتقيَّأه**).

وروى زيد بن أسلم نحوه عن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، كما أخرجه مالكٌ في مُوطَّئه [باب ما جاء في أخذ الصَّدقات والتَّشديد فيها ـ رقم (٧٠٤) ـ ١/ ٢٧٧]، ولفظه: (**شرب عُمر بن الخطَّاب لبنًا فأعجبه، فسأل الذي سقاه: من أين لك هذا اللَّبن؟ فأخبره أنَّه ورد على ماء ـ قد سمَّاه؛ فإذا نَعَمٌ من نَعَم الصَّدقة ـ وهُم يسقون، فحلبوا لي من ألبانها في سقائي هذا. فأدخل عُمر أصبعه؛ فاستقاءه**).

وأصحُّ شيءٍ في الباب: ما أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب مناقب الأنصار/ باب أيَّام الجاهليَّة ـ الحديث رقم (٣٨٤٢) ـ ٥/ ١١٧٣] عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: (**كان لأبي بكرٍ غُلامٌ يُخْرِج له الخَرَاج، وكان أبو بكرٍ يأكل من خَرَاجه، فجاء يومًا بشيءٍ فأكل منه أبو بكرٍ، فقال له الغُلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكرٍ: وما هُو؟ قال: كُنتُ تكهَّنت لإنسانٍ في الجاهليَّة، وما أُحسن الكهانة؛ إلَّا أنِّي خدعته، فَلَقِيَنِي فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه. فأدخل أبو بكرٍ يده؛ فقاء كُلَّ شيءٍ في بطنه**).

وأكل أبو بكرٍ وعُمر رضي الله عنهما لحم جزورٍ؛ جزره الجزَّار بعُشْرٍ منه ولم يعلما، فقاما فتقيَّآه: رواه ابن إسحاق في السِّيرة(١).

وفي الحديث: (**أنَّ رسول الله ﷺ رأى في فم الحسن ـ أو الحُسين ـ تمرًا من تمر الصَّدقة ـ وُهُما دُون البُلوغ ـ، فأخرجها من فم أحدهما فقال: «كِخْ؛ كِخْ، إنَّ الصَّدقة لا تحلُّ لمُحمَّدٍ؛ ولا لآل مُحمّدٍ»**)(٢).

---

(١) أخرج البيهقيُّ في دلائل النُّبوَّة [٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥] من رواية ابن إسحاق عن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ رضي الله عنه قال: (**كُنتُ في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ـ غزوة ذات السَّلاسل ـ، فصحبت أبا بكرٍ وعُمر، فمررت بقومٍ وهُم على جزورٍ قد نحروها؛ وهم لا يقدرون على أن يُعَضُّوها** (أي: يُجزِّئوها)؛ **وكُنتُ امرءًا جازرًا، فقُلتُ لهم: تُعطوني منها عَشيرًا** (أي: نصيبًا، وذلك أنَّ الجزور كانت تُقسم على عشرة أجزاءٍ، فكُلُّ جزءٍ منها يُسمَّى: عشيرًا) **على أن أقسمها بينكم؟ فقالوا: نعم. فأخذت الشَّفرتيْن فجزيتها مكاني، وأخذت منها جُزءًا فحملته إلى أصحابي، فأطعمنا وأكلنا، فقال أبو بكرٍ وعُمر: أنَّى لك هذا اللَّحم يا عوف؟ فأخبرتهما، فقالا: لا والله؛ ما أحسنت حين أطعمتنا هذا. ثُمَّ قاما يتقيَّآن ما في بُطونهما منه، فلمَّا قفل النَّاس من ذلك السَّفر: كُنتُ أوَّل قادمٍ على رسول الله ﷺ، فجئته وهُو يُصلِّي في بيته، فقُلتُ: السَّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال: عوف بن مالكٍ؟ فقُلتُ: نعم؛ بأبي أنت وأُمِّي. فقال: صاحب الجزور؟ لم يزدني على ذلك شيئًا**).

انظر: السِّيرة النَّبويَّة لابن هشامٍ ٤/ ٢٧٤، السِّيرة النَّبويَّة لابن كثيرٍ ٤/ ٢٧٤، وفيها قوله: (هكذا رواه مُحمَّد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيبٍ عن عوفٍ بن مالكٍ، وهُو مُنقطعٌ؛ بل مُعضلٌ).

(٢) أخرجه البُخاريُّ في صحيحه [كتاب الزَّكاة/ باب ما يُذكر في الصَّدقة للنَّبيِّ ﷺ ـ الحديث رقم (١٤٩١) ـ ٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦]، ومُسلمٌ في صحيحه [كتاب =

فإذا كان مثل هؤلاء الكُمَّل يضرُّهم الحرام والشُّبهة: فما ظنُّك بأهل الدّعوى والنَّقص؟

أعاذنا الله من سيِّئات الإجرام ومُوبقات الآثام، وحقَّقنا بالسُّنَّة واتِّباعها مدى الأيَّام.

والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم(١).



= الزَّكاة/ باب تحريم الزَّكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهُم بنو هاشم وبنو المُطَّلب دُون غيرهم ـ الحديث رقم (١٠٦٩) ـ ٢/ ٧٥١] عن أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظ البُخاريِّ: (أخذ الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما تمرة من تمر الصَّدقة؛ فجعلها في فيه، فقال النَّبيُّ ﷺ: **«كخ؛ كخ ـ ليطرحها ـ»**، ثُمَّ قال: **«أما شعرت أنَّا لا نأكل الصَّدقة؟»**).

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في مدينة النَّبيِّ مُحمَّدٍ خير الأنام؛ عليه أفضل الصَّلاة وأزكى السَّلام، في يوم الخميس ١٨ صفر ١٤٣٣هـ؛ الموافق ١٢ يناير (كانون الثَّاني) ٢٠١٢م.

قيد القراءة والسماع في المسجد الحرام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال العبد الفقير إلى غنى ربِّه العليِّ؛ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليُّ: ختمت قراءة الرَّسائل الثَّلاث بمسجد الله الحرام؛ بعد فراغي من أداء العمرة وأنا مُتسربلٌ بالإحرام، وذلك في صحن حرم الله تعالى أفضل المساجد؛ ومهوى فُؤاد كُلِّ طائفٍ وعاكفٍ وراكعٍ وساجدٍ، عصر يوم الخميس ٢١ رمضان ١٤٣٣هـ؛ المُوافق ٩ آب (أغسطس) ٢٠١٢م.

وذلك بحُضور الإخوة الأجلاء؛ ومُشاركة المشايخ النُّبلاء: الشَّيخ نظام بن مُحمَّد صالح يعقوبي؛ الشَّيخ مُحمَّد بن ناصر العجميُّ؛ الشَّيخ هاني بن عبد العزيز ساب؛ الدُّكتور عبد الله بن حمد المُحارب؛ الشَّيخ يُوسف بن مُحمَّد مروان الأُوزبكي المقدسي؛ الشَّيخ عبد الله بن أحمد التُّوم؛ الشَّيخ إبراهيم بن أحمد التُّوم؛ الشَّيخ العربي الفرياطي.

أحسن الله سُبحانه وتعالى إليهم جميعًا في منازل الدَّاريْن، وآتاهم من حسناتهما ما يطمئنُّ به القلب وتقرُّ به العيْن.

فالحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين؛ وعلى آله الطيِّبين؛ وأزواجه المُطهَّرين؛ وأصحابه الغُرِّ الميامين؛ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وصحَّ ذلك

❑❑❑

فهرس المراجع والمصادر العلميَّة

١ ـ **الاستذكار الجامع لمذاهب فُقهاء الأمصار وعُلماء الأقطار فيما تضمَّنه المُوطَّأ من معاني الرَّأي والآثار وشرح ذلك كُلِّه بالإيجاز والاختصار**: يُوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النَّمَرِيُّ ـ وثَّق أُصوله وخرَّج نُصوصه: الدُّكتور/ عبد المُعطي أمين قلعجي ـ دار قُتيبة (دمشق/ الجُمهورية العربيَّة السُّوريَّة)؛ دار الوغى (حلب/ الجُمهورية العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٢ ـ **الأعلام**: خير الدِّين الزِّركليُّ ـ دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّامنة (١٩٨٩م).

٣ ـ **الإعلام بوفيَّات الأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: رياض عبد الحميد مُراد؛ عبد الجبَّار زكَّار ـ مطبوعات مركز جُمعة الماجد للثَّقافة والتُّراث بدُبي ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٤ ـ **أعيان العصر وأعوان النَّصر**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان)؛ دار الفكر (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

٥ ـ **الأنساب**: عبد الكريم بن مُحمَّد السَّمعانيُّ ـ تحقيق: عبد الله عُمر الباروديُّ ـ دار الجنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٦ ـ **الأوائل**: الحسن بن عبد الله العسكريُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٧ ـ **إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٨ ـ **البحر الزَّخَّار**: أبو بكرٍ أحمد بن عمرو البزَّار ـ تحقيق: الدُّكتور/ محفوظ الرَّحمن زين الله ـ مكتبة العُلوم والحكم (المدينة المُنوَّرة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٩ ـ **بيان الدَّليل على بُطلان التَّحليل**: أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة الحرَّانيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ فيحان بن شالي المُطيريُّ ـ مكتبة لينة للنَّشر والتَّوزيع (دمنهُور/ جُمهورية مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

١٠ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: مُحمَّد مُرتضى الحُسينيُّ الزَّبيديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ مطبوعات المجلس الوطنيِّ للثَّقافة والفُنون والآداب (الكُويت/ دولة الكُويت) ـ الطَّبعة الأُولى.

١١ ـ **تاريخ التُّراث العربيِّ**: فُؤاد سزكين ـ نقله إلى العربيَّة: الدُّكتور/ محمود فهمي حجازي ـ مطبوعات جامعة الإمام مُحمَّد بن سُعود الإسلاميَّة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٢ ـ **تاريخ مدينة دمشقٍ وذكر فضلها وتسمية من حلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**: عليُّ بن الحسن بن هبة الله الشَّافعيُّ المعروف بابن عساكر ـ دراسة وتحقيق: عُمر بن غرامة العمروي ـ دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

١٣ ـ **تذكرة الحُفَّاظ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

١٤ ـ **التَّذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيِّ ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ النَّشرة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

١٥ ـ **تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة**: صالح بن عبد العزيز آل عُثيمين البُرَديُّ ـ تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١٦ ـ **تفسير القرآن العظيم**: إسماعيل بن عُمر بن كثيرٍ الدِّمشقيُّ ـ تحقيق: سامي بن مُحمَّد السَّلامة ـ دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

١٧ ـ **التَّمهيد لما في المُوطَّأ من المعاني والأسانيد**: يُوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النَّمَرِيُّ ـ حقَّقه وعلَّق حواشيه وصحَّحه: مجموعةٌ من المُحقِّقين ـ وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة (الرِّباط/ المملكة المغربيَّة) ـ (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م).

١٨ ـ **تهذيب اللُّغة**: مُحمَّد بن أحمد الأزهريُّ ـ تحقيق: مجموعةٌ من المُحقِّقين؛ تقدَّمهم وقدَّم له: عبد السَّلام مُحمَّد هارون ـ المُؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتَّأليف والأنباء والنَّشر؛ الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة (القاهرة/ جُمهورية مصر العربيَّة) ـ (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

١٩ ـ **توضيح المُشتبه**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: مُحمَّد نعيم العرقسوسيِّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٢٠ ـ **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**: يُوسف بن عبد الله بن عبد البرِّ النَّمَرِيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه وآثاره وعلَّق عليه: فوَّاز أحمد زمرلي ـ مُؤسَّسة الرَّيَّان؛ دار ابن حزمٍ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

٢١ ـ **الجامع لشُعب الإيمان**: أحمد بن الحُسين البيهقيُّ ـ حقَّقه وراجع نُصوصه وخرَّج أحاديثه: الدُّكتور/ عبد العليِّ عبد الحميد حامد ـ الدَّار السَّلفيَّة (بومباي/ الهند) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢٢ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أحمد بن عبد الله بن مهران المعروف بأبي نُعيم الأصبهانيِّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٢٣ ـ **الدُّرُّ المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة التَّوبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٢٤ ـ **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة**: أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلانيُّ.

٢٥ ـ **دلائل النُّبوَّة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة**: أحمد بن الحُسين البيهقيُّ ـ وثَّق أُصوله وخرَّج حديثه وعلَّق عليه: الدُّكتور/ عبد المُعطي قلعجي ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٢٦ ـ **الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: فهيم مُحمَّد شلتوت ـ مطبوعات مركز البحث العلميِّ وإحياء التُّراث الإسلاميِّ بجامعة أُمِّ القُرى (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٢٧ ـ **ذيل العبر**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد السَّعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٢٨ ـ **ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عُمر عبد السّلام تدمري ـ دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

٢٩ ـ **الذَّيل على طبقات الحنابلة**: عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب البغداديُّ ـ دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٣٠ ـ **الرَّدُّ الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣١ ـ **رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب**: إبراهيم بن مُحمَّد بن ضُويَّان ـ تحقيق: عُمر بن غرامة العمرويِّ ـ دار الفكر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٢ ـ **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**: مُحمَّد بن عبد المُنعم الحميريُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ إحسان عبَّاس ـ مكتبة لبنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٤م).

٣٣ ـ **سنن ابن ماجه**: مُحمَّد بن يزيد القزوينيُّ المعروف بابن ماجه ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣٤ ـ **سُنن أبي داود**: سُليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣٥ ـ **سُنن التِّرمذيِّ**: مُحمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣٦ ـ **السِّيرة النَّبويَّة**: إسماعيل بن عُمر بن كثيرٍ الدِّمشقيُّ ـ تحقيق: مصطفى عبد الواحد ـ دار المعرفة (بيروت/ لبنان) ـ (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م).

٣٧ ـ **السِّيرة النَّبويَّة**: عبد الملك بن هشام المُعافريُّ: حقَّقها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مُصطفى السَّقا؛ إبراهيم الأبياري؛ عبد الحفيظ شلبي ـ دار إحياء التراث العربي (بيروت/ لبنان).

٣٨ ـ **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**: عبد الحيِّ بن العماد الحنبليُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٣٩ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عُمر بن سُليمان الحفيان ـ مكتبة العُبيكان (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٤٠ ـ **الصِّحاح**: إسماعيل بن حمَّاد الجوهريُّ ـ دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

٤١ ـ **صحيح البُخاريِّ**: مُحمَّد بن أحمد البُخاريُّ ـ تحقيق: مُحمَّد علي القُطب ـ المكتبة العصريَّة (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٤٢ ـ **صحيح مُسلم**: مُسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ ـ حقَّق نُصوصه وصحَّحه ورقَّمه: مُحمَّد فُؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الفيصليَّة (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٤٣ ـ **طريق الهجرتيْن وباب السَّعادتيْن**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ حقَّقه: مُحمَّد أجمل الإصلاحيُّ ـ خرَّج أحاديثه: زائد بن أحمد النَّشيري ـ إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبد العزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة ـ دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٩هـ).

٤٤ ـ **العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي الدِّمشقيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد حامد الفقي ـ مكتبة المُؤيَّد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٤٥ ـ **العلل المُتناهية في الأحاديث الواهية**: عبد الرَّحمن بن عليٍّ الجوزيُّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: إرشاد الحقِّ الأثريُّ ـ إدارة العُلوم الأثريَّة (فيصل آباد/ باكستان)؛ دار نشر الكُتب الإسلاميَّة (لاهُور/ باكستان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٤٦ ـ **عُلماء الحنابلة من الإمام أحمد المُتوفَّى سنة ٢٤١هـ إلى وفيَّات عام ١٤٢٠هـ رحمهم الله تعالى**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار ابن الجوزيِّ (الدَّمَّام/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ).

٤٧ ـ **العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ).

٤٨ ـ **الفُروع**: مُحمَّد بن مُفلح المقدسيُّ ـ راجعه: عبد السَّتَّار أحمد فرَّاج ـ عالم الكُتب (بيروت/ لُبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٧م).

٤٩ ـ **فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)**: وضعه: مُحمَّد رياض مالح ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٥٠ ـ **القاموس المُحيط**: مُحمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٥١ ـ **القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة**: مُحمَّد بن عليٍّ بن طُولون الصَّالحيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد أحمد دهمان ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م).

٥٢ ـ **قُوت القُلوب في مُعاملة المحبوب ووصف طريق المُريد إلى مقام التَّوحيد**: مُحمَّد بن عليٍّ بن الحارثيُّ المعروف بأبي طالبٍ المكيِّ ـ ضبطها وصحَّحها وعلَّق عليها: الدُّكتور/ عاصم إبراهيم الكيَّاليُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (٢٠٠٥م).

٥٣ ـ **كتاب الصِّناعتيْن**: الحسن بن عبد الله العسكريُّ ـ تحقيق: علي مُحمَّد البجاوي؛ مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصريَّة (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٥٤ ـ **كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: مُصطفى بن عبد الله المعروف بحاجِّي خليفة ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٥٥ ـ **كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: ربيع بن أحمد خلف ـ دار الجيل (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٥٦ ـ **لسان العرب**: مُحمَّد بن مُكرم الأفريقيُّ المعروف بابن منظورٍ ـ مُؤسَّسة الكُتب الثَّقافيَّة (بيروت/لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٥٧ ـ **اللُّباب في تهذيب الأسماء**: مُحمَّد بن مُحمَّدٍ الشَّيبانيُّ المعروف بابن الأثير الجزريِّ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٥٨ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: جمع وترتيب: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن قاسم وساعده ابنه مُحمَّد ـ مُجمَّع الملك فهد لطباعة المُصحف الشَّريف (المدينة المُنوَّرة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

٥٩ ـ **المُحكم والمُحيط الأعظم**: عليُّ بن إسماعيل بن سِيدَه ـ تحقيق: مُصطفى السَّقا؛ الدُّكتور/ حسن نصَّار ـ معهد المخطوطات بجامعة الدُّول العربيَّة ـ الطَّبعة الأُولى (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م).

٦٠ ـ **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجُلِّيل ـ دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

٦١ ـ **المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبلٍ وتخريجات الأصحاب**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٦٢ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان**: عبد الله بن سعد اليافعيُّ ـ دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٦٣ ـ **المُستدرك على الصَّحيحين**: مُحمَّد بن عبد الله الحاكم ـ دراسة وتحقيق: مُصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

٦٤ ـ **مُسند الإمام أحمد بن حنبلٍ**: أحمد بن حنبلٍ الشَّيبانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مجموعةٌ من المُحقِّقين؛ بإشراف: شُعيب الأرنؤوط ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٦٥ ـ **مُسند الشَّاميِّين**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السَّلفيُّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٦٦ ـ **المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: عليُّ بن مُحمَّد البجاوي ـ الدَّار العلميَّة (دلهي/ الهند) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٧م).

٦٧ ـ **المُعجم الأوسط**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ محمود الطَّحَّان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٦٨ ـ **مُعجم البُلدان**: ياقوت بن عبد الله الحمويُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٦٩ ـ **مُعجم الشُّيوخ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد الحبيب الهيلة ـ مكتبة الصِّدِّيق (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٧٠ ـ **مُعجم المُؤلِّفين**: عُمر رضا كحَّالة ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٧١ ـ **مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: عبد الله بن عبد العزيز البكريُّ ـ تحقيق: مُصطفى السَّقَّا ـ عالم الكُتب (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٧٢ ـ **مُعجم مُصنَّفات الحنابلة من وفيَّات ٢٤١ ـ ١٤٢٠هـ**: الأُستاذ الدُّكتور/ عبد الله بن مُحمَّد الطُّريقيُّ ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٧٣ ـ **معرفة الصَّحابة**: أحمد بن عبد الله بن مهران المعروف بأبي نُعيم الأصبهانيِّ ـ تحقيق: عادل بن يُوسف العزازي ـ دار الوطن للنَّشر (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٧٤ ـ **مفتاح الطَّريق إلى سُلوك التَّحقيق**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٧٥ ـ **مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطَّلب والإرادة الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٧٦ ـ **مفتاح طريق المُحبِّين وباب الأُنس بربِّ العالمين المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٧٧ ـ **مُفردات ألفاظ القُرآن**: الرَّاغب الأصفهانيُّ ـ تحقيق: صفوان عدنان داوودي ـ دار القلم (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة)؛ الدَّار الشَّاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٧٨ ـ **المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن**: القاسم بن مُحمَّد البرزاليُّ ـ تحقيق: الأُستاذ الدُّكتور/ عُمر سُليمان تدمري ـ المكتبة العصريَّة (صيدا ـ بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٧٩ ـ **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: إبراهيم بن مُحمَّد بن مُفلحٍ المقدسيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٨٠ ـ **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: جماعةٌ من المُحقِّقين؛ بإشراف: عبد القادر الأرناؤوط ـ دار صادر (بيروت/ لبنان)؛ توزيع مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٩٩٧م).

٨١ ـ **المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد مُحمَّد أمين ـ الهيئة المصريَّة العامّة للكتاب (١٩٨٤م).

٨٢ ـ **المُوطَّأ**: مالك بن أنسٍ الأصبحيُّ ـ رواية: أبي مُصعبٍ الزُّهريِّ المدنيِّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: الدُّكتور/ بشَّار عوَّاد معروف؛ محمود محمَّد خليل ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٨٣ ـ **النَّصيحة في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الرَّابعة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٨٤ ـ **نفح الطِّيب من غُصن الأندلس الرَّطيب**: أحمد بن مُحمَّد المَقَّري التلمسانيُّ ـ حقَّقه: الدُّكتور/ إحسان عبَّاس ـ دار صادر (بيروت/ لبنان) ـ (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).

٨٥ ـ **نَكْت الهِميان في نُكُت العُميان**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ وقف على طبعه: أحمد زكي بك ـ المطبعة الجمالية (القاهرة/ جُمهورية مصر العربيَّة) ـ (١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م).
٨٦ ـ **هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).
٨٧ ـ **الوافي بالوفيَّات**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: س. ديدرينغ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان).

❑❑❑

فهرس الموضوعات

الرِّسالة الأُولى:
السرُّ المصون والعلم المخزون

الرِّسالة الثَّانية:
ميزان الحق والضلال في تفصيل أحوال النجباء والأبدال
وشَرْحِ كِبْر الجهلة من العمَّال، الذين عَدِموا علم التفصيل والإجمال

الرِّسالة الثَّالثة:
ميزان الشُّيوخ

❏ ❏ ❏